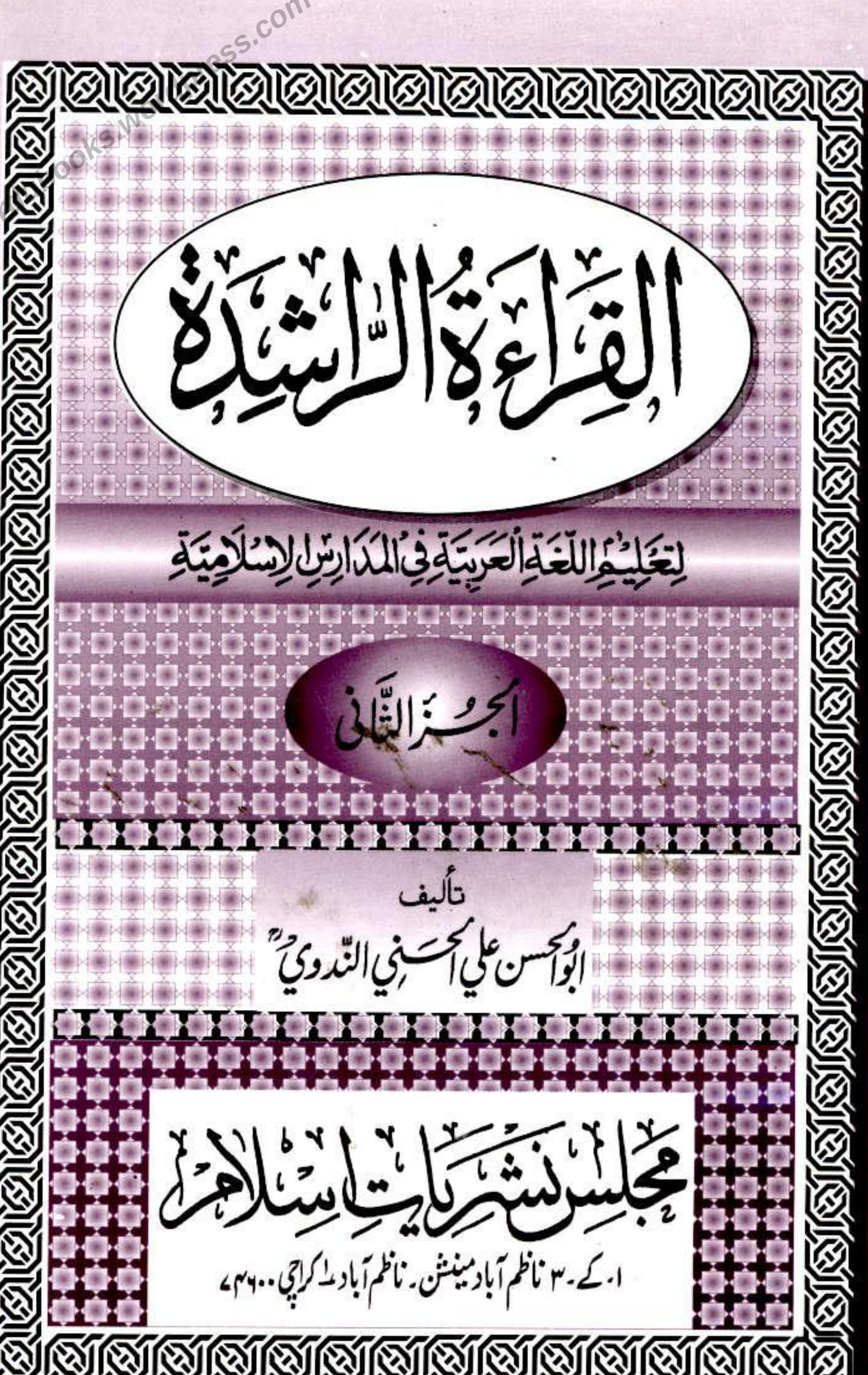


القراءة الراشدة
لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية
الجزء الثاني
تأليف
ابو الحسن علي الحسني الندوي
مجلس نشریات اسلام
ا۔کے۔۳ ناظم آباد مینشن۔ ناظم آباد ا کراچی ۷۴۶۰۰

القراءة الراشدة

لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية

(الجزء الثاني)

تاليف

ابو الحسن علی الحسنی الندوی

مجلس نشریات اسلام
۱-کے-۳ ناظم آباد مینشن، ناظم آباد ۱، کراچی ۱۸

نام کتاب	القراة الراشدة (الجزء الثانی)
تالیف	ابوالحسن علی الحسنی الندوی
طباعت	[illegible] پرنٹنگ پریس کراچی
ضخامت	۱۰۴ صفحات

فون نمبر 6601817

اسٹاکسٹ : مکتبۂ ندوۃ قاسم سینٹر اردو بازار کراچی

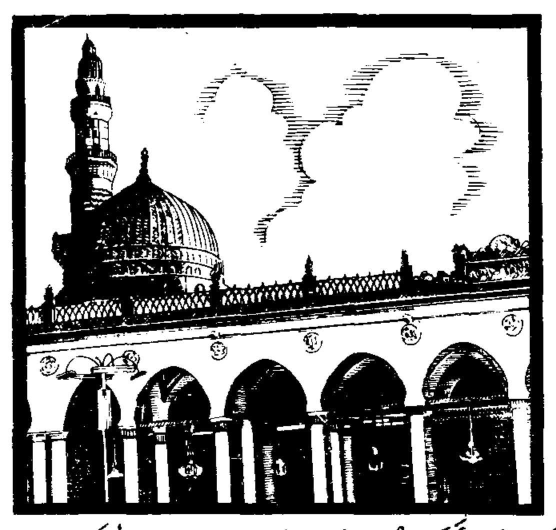
ناشر

فضل ربی ندوی

مجلس نشریات اسلام ۱-کے-۳ ناظم آباد مینشن۔ ناظم آباد نمبر ۱ کراچی ۱۸

بسم الله الرحمن الرحيم

شَهَامَةُ الْيَتِيمِ (١)



تَرَوْنَ أَمَامَكُمْ صُوْرَةَ مَسْجِدٍ ، هٰذَا مَسْجِد النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَدِيْنَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، هَلْ تَعْرِفُوْنَ مِنْ خَبَرِ هٰـذَا الْمَسْجِدِ شَيْئاً ؟ إِنَّ لَهُ تَارِيْخاً يَغْتَبِطُ بِهِ كُلُّ طِفْلٍ مُّسْلِمٍ .

لَمَّا دَعَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى اللهِ فِي مَكَّةَ، وَ نَادَىٰ فِي النَّاسِ « لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَّسُوْلُ اللهِ » غَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَّكَانَتْ تَعْبُدُ الْأَصْنَامَ،وَكَانَتْ فِي الْكَعْبَةِ

الَّتِيْ بَنَاهَا إِبْرَاهِيْمُ وَ إِسْمَاعِيْلُ ٭ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ ٭ لِعِبَادَةِ اللّٰهِ وَحْدَهُ: كَانَ فِيْ تِلْكَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَّسِتُّوْنَ صَنَماً ، فَاشْتَعَلَتْ قُرَيْشٌ غَضَباً وَّ آذَوْا رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ وَعَذَّبُوا الْمُسْلِمِيْنَ ، فَصَبَرَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ وَصَبَرَ الْمُسْلِمُوْنَ وَ ثَبَتُوْا لَهُمْ كَالْجِبَالِ .

وَ لٰكِنَّ قُرَيْشاً كَانُوْا يَمْنَعُوْنَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيَحُوْلُوْنَ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَعِبَادَةِ اللّٰهِ ، فَأَذِنَ اللّٰهُ لِرَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ بِالْهِجْرَةِ ، فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِيْنَةِ وَهَاجَرَ الْمُسْلِمُوْنَ ، وَ كَانَتِ الْمَدِيْنَةُ أَرْضاً طَيِّبَةً لِّلْإِسْلَامِ ، فِيْ أَهْلِهَا لِيْنٌ وَّ رِقَّةٌ ، قَدْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ كَثِيْرٌ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .

وَلَمَّا انْتَقَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَّكَّةَ إِلَى الْمَدِيْنَةِ وَ سَكَنَ هُنَالِكَ أَحَبَّ أَنْ يَّبْنِيَ مَسْجِداً ، لِأَنَّ الْمَسْجِدَ لَازِمٌ لِّلْمُسْلِمِيْنَ ، وَ هُوَ قُطْبٌ يَّدُوْرُ حَوْلَهُ رَحَى الْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

وَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَازِلاً فِيْ بَيْتِ أَبِيْ أَيُّوْبَ الْأَنْصَارِيِّ (رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ) وَ كَانَ ضَيْفاً عَلَيْهِ ، وَكَانَ قَرِيْباً مِّنْ بَيْتِهِ مِرْبَدٌ ، فَأَرَادَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَنْ يَّبْنِيَ

الْمَسْجِدَ فِيْ ذٰلِكَ الْمَكَانِ ، قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ: لِمَنْ هٰذَا الْمِرْبَدُ ؟

قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ اسْمُهٗ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ : هُوَ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ! لِيَتِيْمَيْنِ ، اسْمُ أَحَدِهِمَا سَهْلٌ وَّاسْمُ الثَّانِيْ سُهَيْلٌ .

طَلَبَ رَسُوْلُ ﷺ سَهْلًا وَّ سُهَيْلًا ، وَهُمَا وَلَدَانِ يَتِيْمَانِ ، فَلَمَّا حَضَرَا ، كَلَّمَهُمَا رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ فِيْ أَمْرِ الْمِرْبَدِ وَ ثَمَنِهٖ .

قَالَ سَهْلٌ وَسُهَيْلٌ : هُوَ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ! لِلّٰهِ، لَا نَشْتَرِيْ بِهٖ ثَمَنًا ، فَابْنِ الْمَسْجِدَ ، وَقَدْ طَابَتْ بِهٖ أَنْفُسُنَا، وَلٰكِنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ أَبٰى وَاشْتَرٰى مِنْهُمَا الْمَكَانَ ، وَدَفَعَ الثَّمَنَ .

وَ بَنَى الْمُسْلِمُوْنَ الْمَسْجِدَ ، وَرَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَعْمَلُ بِيَدِهٖ وَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ ، فَقَالَ قَائِلٌ مِّنَ الْمُسْلِمِيْنَ :

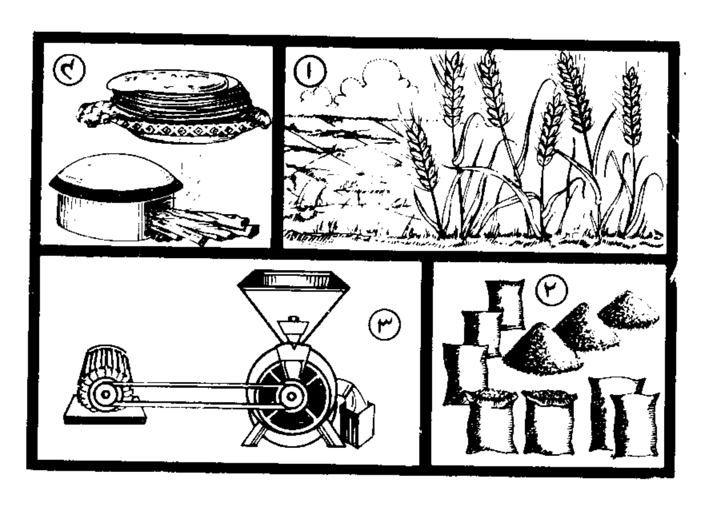
لَئِنْ قَعَدْنَا وَ النَّبِيُّ يَعْمَلُ
لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضَلَّلُ

وَكَانَ الْمُسْلِمُوْنَ يَبْنُوْنَهٗ وَيَقُوْلُوْنَ :

أَللّٰهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

وَ قَدْ زَادَ فِي هٰذَا الْمَسْجِدِ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) وَالْمُلُوْكُ بَعْدَهُ، حَتّٰى تَرَوْنَهُ فِي هٰذَا الشَّكْلِ.

② كِسْرَةٌ مِّنَ الْخُبْزِ



مَرَّةً أَخَذْتُ كِسْرَةً مِّنَ الْخُبْزِ لِآكُلَهَا فَقَالَتْ مَهْلًا يَا سَيِّدِيْ! إِنَّكَ غَيْرُ جَائِعٍ، وَّ قَدْ أَكَلْتَ أَخَوَاتِيْ، أَفَلَا تُحِبُّ أَنْ أَقُصَّ عَلَيْكَ قِصَّتِيْ، فَإِنَّهَا غَرِيْبَةٌ وَّ إِنَّهَا لَذِيْذَةٌ قُلْتُ. بَلٰى! أُرِيْدُ أَنْ أَسْمَعَ قِصَّتَكِ، فَلَا آكُلُكِ حَتّٰى

أَسْمَعَ مِنْكِ .

قَالَتْ : هَلْ تَظُنُّ يَا سَيِّدِي أَنِّي خُلِقْتُ هٰكَذَا ؟ هَلْ سَمِعْتَ أَنَّ الْخُبْزَ يَنْبُتُ فِي الْحَقْلِ أَوْ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ؟ إِنَّكَ تَأْكُلُ مُسْتَرِيحاً يَأْتِيكَ رِزْقُكَ رَغَداً ، وَلٰكِنِّي لَمْ أَزَلْ أَتَحَمَّلُ الْمَشَاقَّ لِأَجْلِكَ، وَأَخْرُجُ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَىٰ مُصِيبَةٍ وَّمِنْ مَّحْبِسٍ إِلَىٰ مَحْبِسٍ حَتَّىٰ وَصَلْتُ إِلَىٰ يَدِكَ .

كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي كُنْتُ حَبَّةَ حِنْطَةٍ مَّعَ شَقِيقَاتِي فِي غِرَارَةٍ، فَجَاءَ إِلَيْنَا رَجُلٌ ، فَأَخَذَنِي مَعَ رَفِيقَاتِي ، فَبَذَرَنَا فِي التُّرَابِ .

هُنَالِكَ فِي الْحَقْلِ أَبْصَرْتُ الدُّنْيَا وَأَصَابَتْنِي الشَّمْسُ ، وَكُنْتُ مَسْرُورَةً جِدًّا ، وَلٰكِنْ نَزَلَ الْمَطَرُ ، وَدَخَلْتُ إِلَىٰ بَاطِنِ التُّرْبَةِ ، وَبَقِيتُ مَدْفُونَةً أَيَّاماً ، وَّأَخَذَ جِسْمِي يَكْبُرُ وَ جِلْدِي يَضِيقُ عَلَيَّ ، حَتَّىٰ انْشَقَّ جِلْدِي ، وَخَرَجَ مِنْهُ جُذَيْرَاتٌ كَالشَّعْرِ ، ثُمَّ خَرَجَتْ وُرَيْقَاتٌ شَقَّتِ التُّرْبَةَ ، وَ ظَهَرَتْ فَوْقَ الْأَرْضِ ، فَكُنْتُ يَا سَيِّدِي! سُنْبُلَةً قَائِمَةً عَلَىٰ سَاقٍ .

ثُمَّ أَصْبَحْتُ سُنْبُلَةً صَفْرَاءَ فِي حَرَارَةِ الشَّمْسِ،

وَ كُنتُ أَرَى صَدِيقَاتِيْ وَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ وَ نَهْتَزُّ طَرَباً، وَّ كَانَتْ أَيَّاماً جَمِيلَةً.

وَ مَا طَالَتْ تِلْكَ الْمُدَّةُ فَقَدْ جَاءَ رِجَالٌ يَّحْمِلُوْنَ الْمَنَاجِلَ، فَحَصَدُوْا وَ حَمَلُوْا، وَ انْتَقَلْتُ إِلَىٰ بَيْدَرٍ، وَ مَكَثْتُ أَيَّاماً.

وَ كَانَ مِنْ أَشَدِّ الْأَيَّامِ فَقَدْ جَاءَ ثِيْرَانٌ فَدَاسَتْنَا بِأَقْدَامِهَا، وَ فَارَقْتُ السُّنْبُلَةَ، وَ كُنْتُ طَرِيْحاً ذَلِيْلاً.

ثُمَّ أَخَذَنَا رِجَالٌ وَّذَرَوْنَا فِي الرِّيْحِ، فَطَارَ الْقِشْرُ وَ بَقِيَ الْقَمْحُ.

وَ كَانَ أَشَدَّ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ: أَنَّ رَجُلاً حَمَلَنِيْ إِلَىٰ شَيْءٍ مُّدَوَّرٍ مِّنَ الْحَجَرِ، فِيْهِ ثَقْبٌ، وَ كُنْتُ أَسْمَعُ لَهُ صَوْتاً شَدِيْداً كَرِيْهاً وَّ جَعْجَعَةً، فَأَلْقَانِيْ فِيْهِ فَطَحَنَنِيْ طَحْناً، هَلْ تَعْرِفُ اسْمَهُ يَا سَيِّدِي؟ .. ذٰلِكَ هُوَ الطَّاحُوْنُ أَوِ الرَّحَىٰ.

فَلَمَّا صِرْتُ دَقِيْقاً أَخَذَنِي الْخَبَّازُ وَ وَضَعَنِيْ فِيْ مِعْجَنَةٍ، وَ غَمَرَنِيْ بِالْمَاءِ النَّقِيِّ، وَ عَمَزَنِيْ، حَتَّىٰ صِرْتُ عَجِيْناً، فَصَنَعَ مِنِّيْ كُرَةً.

هُنَالِكَ جَاءَتِ الْمُصِيْبَةُ، فَقَدْ دَحَانِيْ عَلَىٰ حَدِيْدٍ

مَحْمِيٍّ تُسَمُّوْنَهُ الطَّابَقَ ، لَا تَسْأَلْ يَا سَيِّدِيْ! عَنْ أَلَمِيْ وَاحْتِرَاقِيْ فَقَدِ الْتَوَيْتُ وَ انْكَمَشْتُ ، وَلٰكِنَّ الْخَبَّازَ لَمْ يَرْحَمْنِيْ وَ لَمْ يَرِقَّ لِيْ ، حَتّٰى كُنْتُ رِقَاقاً .

كُلُّ ذٰلِكَ فِيْ سَبِيْلِكَ يَا سَيِّدِيْ ، كُنْتُ أَشْقٰى لِنَعِيْمِكَ وَأَتْعَبُ لِلَذَّتِكَ ، وَأَنْتَقِلُ مِنْ طَوْرٍ إِلٰى طَوْرٍ ، لِتَأْكُلَ هَنِيْئاً وَّ تَشْبَعَ ، أَفَلَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقُوْلَ :

« أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ أَطْعَمَنِيْ وَ سَقَانِيْ وَ جَعَلَنِيْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ » .

③ عِيَادَةُ الْمَرِيْضِ

ذَهَبَ حَامِدٌ إِلَى الْمَدْرَسَةِ يَوْمَ السَّبْتِ فَوَجَدَ أَنَّ صَدِيْقَهُ حُسَيْنًا مَا حَضَرَ فِي الْمَدْرَسَةِ ، فَسَأَلَ أَخَاهُ عَلِيّاً عَنِ السَّبَبِ، فَقَالَ: إِنَّهُ مَحْمُوْمٌ مِّنْ يَّوْمِ الْخَمِيْسِ، فَعَزَمَ حَامِدٌ عَلٰى أَنْ يَعُوْدَهُ فِي الرُّجُوْعِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ .

ذَهَبَ حَامِدٌ إِلٰى بَيْتِ حُسَيْنٍ فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ ، فَخَرَجَ أَبُوْ حُسَيْنٍ ، قَالَ حَامِدٌ : إِنِّيْ أُرِيْدُ أَنْ أَعُوْدَ صَدِيْقِيْ حُسَيْناً فَقَدْ أَخْبَرَنِيْ عَلِيٌّ أَنَّهُ مَرِيْضٌ ، قَالَ أَبُوْهُ : نَعَمْ!

إنَّهُ أَصَابَتْهُ الْحُمَّيَ يَوْمَ الْخَمِيْسِ ، وَ يُمكِنُكَ أَنْ تَعُوْدَهُ.

صَعِدَ حَامِدٌ إلَى السَّطْحِ ، وَدَخَلَ غُرْفَةَ حُسَيْنٍ ، فَرأَى حُسَيْناً مُضْطَجِعاً ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِلُطْفٍ وَّدَنَا مِنْهُ ، وَ قَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِيْ ! عَافَاكَ اللهُ .

قَالَ حُسَيْنٌ : قَدْ أَصَابَتْنِيْ الْحُمَّيَ يَوْمَ الْخَمِيْسِ ، وَكَانَتْ شَدِيْدَةً يَّوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَخَفَّتْ فِيْ اللَّيْلِ ، وَ لٰكِنِّيْ أَشْكُوْ الصُّدَاعَ وَ الدُّوَارَ ، وَ قَـدْ ضَعُفْتُ كَثِيْراً ، كَأَنِّيْ مَرِيْضٌ مُّنْذُ أَيَّامٍ ، وَّ لاَ أَشْتَهِي الطَّعَامَ .

قَالَ حَامِدٌ : لاَ بَأْسَ طَهُوْرٌ إنْ شَاءَ اللهُ ، وَهَلْ عَادَكَ طَبِيْبٌ ؟

قَالَ حُسَيْنٌ : نَعَمْ ! قَدْ عَادَنِيْ طَبِيْبٌ أَمْسِ ، وَمَوْعِدُهُ الْآنَ

وَ لَمْ يَجْلِسْ حَامِدٌ إلاَّ قَلِيْلاً ، حَتّٰي حَضَرَ الطَّبِيْبُ فَجَسَّ يَدَ حُسَيْنٍ ، وَّ قَاسَ الْحَرَارَةَ ، وَ امْتَحَنَ الصَّدْرَ بِالْمِسْمَعَةِ ، وأَبْدَى الْاِرْتِيَاحَ ، وَغَيَّرَ فِي الْوَصْفَةِ قَلِيْلاً ، وَّ قَالَ : إنَّهُ بَارِئٌ بِحَمْدِ اللهِ ، وَ أَوْصٰى أَبَاهُ بِأَنْ يَّحْمِيَ حُسَيْناً الْمَاءَ الْبَارِدَ وَ الزَّيْتَ وَ الْخُرُوْجَ فِي

الْهَوَاءِ وَ التَّعَبِ ، و يَسْقِيَهُ اللَّبَنَ وَ مَاءَ الشَّعِيْرِ وَ مَاءَ الْفَوَاكِهِ .

وَ جَلَسَ حَامِدٌ قَلِيْلاً ، وَ قَالَ : إِنَّ الْعَائِدَ إِذَا طَالَ الجُلُوْسَ عِنْدَ الْمَرِيْضِ، شَقَّ عَلَيْهِ وَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، فَأَسْتَأْذِنُ وَأَنْصَرِفُ ، وأَعُوْدُ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ غَدًا.

④ أَلْكِيْمِيَاءُ

كَانَ الْأَوْلَادُ يَتَحَدَّثُوْنَ فِي اللَّيْلِ وَ يَتَسَامَرُوْنَ ، وَ كَانَ أَكْثَرُ حَدِيْثِهِمْ عَنِ الْكِيْمِيَاءِ ، وَ كَانَ إِسْمَاعِيْلُ يَقُوْلُ : سَمِعْتُ أَنَّ شَيْخاً يُحَوِّلُ التُّرَابَ ذَهَباً ، وَ يَجْعَلُ نُقُوْدَ النِّيْكَلِ وَ الرَّصَاصِ:دَنَانِيْرَ ذَهَبِيَّةً وَ جُنَيْهَاتٍ .

وَ صَدَّقَهُ مَحْمُوْدٌ ، وَ قَالَ : نَعَمْ! إِنَّهُ فَنٌّ ، كَانَ النَّاسُ يَعْرِفُوْنَهُ ، وَ لٰكِنِ انْقَرَضَ عُلَمَاءُ هٰذَا الْفَنِّ وَطُوِيَ ذٰلِكَ الْبِسَاطُ .

فَتَأَسَّفَ الْأَوْلَادُ كَثِيْراً ، وَ حَزِنُوْا ، وَقَالُوْا : لَوْ وَجَدْنَا أَحداً يَعْرِفُ هٰذِهِ الصِّنَاعَةَ ، لَتَعَلَّمْنَاهَا مِنْهُ ، وَ صِرْنَا أَغْنِيَاءَ بِدُوْنِ تَعَبٍ وَ مَشَقَّةٍ .

وَ كَانَ أَبُوْهُ بِمَسْمَعٍ مِّنْهُمْ ، فَقَالَ : لَا تَتَأَسَّفُوْا يَا أَوْلَادِيْ ! فَإِنِّيْ أَعْرِفُ الْكِيْمِيَاءَ ، و أَنْتُمْ أَعَزُّ النَّاسِ عِنْدِيْ ، فَأَنَا أُعَلِّمُكُمْ غداً ، وَأُخْبِرُكُمْ بِصِنَاعَةِ الْكِيْمِيَاءِ.

فَرِحَ الْأَوْلَادُ كَثِيْراً ، وَ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَ شَقَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَّنْتَظِرُوْا إِلَى الصَّبَاحِ ، فَاسْتَطَالُوا اللَّيْلَ ، وَ لٰكِنَّ وَالِدَهُمْ قَالَ لَهُمْ : « لَا يُمْكِنُ تَعْلِيْمُ الْكِيْمِيَاءِ إِلَّا فِي النَّهَارِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ فَنٌّ دَقِيْقٌ .

نَامَ الْأَوْلَادُ وَ انْتَبَهُوْا مُبَكِّرِيْنَ ، وَ لَمْ يَزَلْ إِسْمَاعِيْلُ وَ مَحْمُوْدٌ يَرَيَانِ الْكِيْمِيَاءَ فِي الْمَنَامِ ، رَأَىٰ هَاشِمٌ أَنَّهُ فِيْ قَصْرٍ شَامِخٍ ، وَّ لِبَاسٍ فَاخِرٍ ، وَ قَدْ بَنَى الْقَصْرَ ، وَصَنَعَ اللِّبَاسَ بِالْمَالِ الَّذِيْ حَصَلَ لَهُ بِالْكِيْمِيَاءِ.

فَصَلَّوْا الصُّبْحَ ، وَ جَلَسُوْا حَوْلَ أَبِيْهِمْ يَنْتَظِرُوْنَ فَرَاغَهُ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَأَتَمَّ أَبُوْهُمْ حِزْبَهُ ، وَقَالَ : هَلُمُّوْا يَا أَبْنَائِيْ ! فَخَرَجُوْا مَعَهُ ، وَ قَدْ أَعْجَلَهُمُ الْاِشْتِيَاقُ إِلَى الْكِيْمِيَاءِ مِنْ أَنْ يُّفْطِرُوْا .

لَمْ يَزَلْ أَبُوْهُمْ يَسِيْرُ بِهِمْ طَرِيْقاً بَعْدَ طَرِيْقٍ ، حَتّٰى وَقَفَ بِهِمْ عَلَىٰ حَقْلٍ يَّحْرُثُهُ الْفَلَّاحُ ، وَ فِيْ يَدِهِ السِّكَّةُ

فَقال الْوَالِدُ: اَلْكِيْمِيَاءُ يَا أَوْلَادِيْ! تَحْتَ سِكَّةِ الْمِحْرَاثِ.

فَتَعَجَّبَ الْأَوْلَادُ، فَاسْتَفْسَرُوْا أَبَاهُمْ، فَقَالَ الْوَالِدُ: أَلَمْ أَسْمَعْكُمْ تَقُوْلُوْنَ: اَلْكِيْمِيَاءُ يُحَوِّلُ التُّرَابَ ذَهَباً؟ أَلَا يَتَحَوَّلُ هٰذَا التُّرَابُ ذَهَباً بَعْدَ أَيَّامٍ بَلْ أَغْلىٰ مِنَ الذَّهَبِ؟ وَمَا يُغْنِي الذَّهَبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ؟ فَبِهٰذِهِ الْبُذُوْرُ الَّتِيْ بَذَرَهَا الْفَلَّاحُ، وَ اجْتَهَدَ فِيْهَا أَيَّاماً سَتَأْتِيْ بِحَاصِلٍ كَبِيْرٍ، وَ سَيَرُدُّ اللّٰهُ إِلَيْهِ بِهٰذَا الْعَمَلِ أَضْعَافَ مَا بَذَلَ.

ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ أَبُوْهُمْ عَلىٰ مَصْنَعٍ كَانَ النَّاسُ فِيْهِ عَاكِفِيْنَ عَلىٰ أَعْمَالِهِمْ، وَ الْعَرَقُ يَسِيْلُ مِنْ جِبَاهِهِمْ، وَصَنَعُوْا أَشْيَاءَ مُفِيْدَةً جِدًّا تُثْمِرُلَهُمْ مَالاً كَثِيْرًا، وَتَقْضِيْ لِلنَّاسِ حَاجَاتٍ كَبِيْرَةً، فَقَالَ الْوَالِدُ: اَلْكِيْمِيَاءُ يَا أَوْلَادِيْ! عَرَقُ الْجَبِيْنِ، وَ كَدُّ الْيَمِيْنِ، ثُمَّ مَالَ بِهِمْ إِلىٰ حَلْقَةِ مُعَلِّمٍ، وَ إِلىٰ مَجْلِسِ وَاعِظٍ، وَ قَالَ: يَا أَوْلَادِيْ! اَلْإِنْسَانُ أَغْلىٰ شَيْءٍ فِي الْوُجُوْدِ، وَ تَثْقِيْفُهُ وَ إِصْلَاحُهُ أَفْضَلُ مِنْ تَحْوِيْلِ التُّرَابِ ذَهَباً.

فَإِذَا تَعَلَّمَ هٰؤُلَاءِ الْأَوْلَادُ، وَ إِذَا اهْتَدىٰ هٰؤُلَاءِ

النَّاسُ ، كَانَ لِلْمُعَلِّمِ وَالْوَاعِظِ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، لَهُ أَجْرُ كُلِّ مَا يَعْمَلُ هٰؤُلَاءِ مِنْ خَيْرٍ وَّ بِرٍّ ، وَ لِذٰلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ :

«يَا عَلِيُّ ! لَأَنْ يَّهْدِيَ اللّٰهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» .

فَاقْتَنَعَ الْأَوْلَادُ ، وَ شَكَرُوْا أَبَاهُمْ ، وَ رَجَعُوْا ، وَ قَدْ تَعَلَّمُوا الْكِيْمِيَاءَ .

⑤ يَوْمٌ صَائِفٌ

مَا أَشَدَّ الْحَرَّ! يَا لَطِيْفُ ! اَلنَّاسُ فِيْ بُيُوْتِهِمْ لَا يَخْرُجُوْنَ خَوْفَ السَّمُوْمِ ، وَ قَدِ اتَّخَذُوْا سُتُوْرًا مِّنَ الْحَشِيْشِ يَرُشُّوْنَ عَلَيْهَا الْمَاءَ ، وَ يُحَرِّكُوْنَ الْمَرَاوِحَ ، وَ قَدْ سَدُّوا النَّوَافِذَ ، لِئَلَّا تَدْخُلَ مِنْهَا السَّمُوْمُ ، وَمَعَ ذٰلِكَ يَتَقَلَّبُوْنَ عَلٰى مِثْلِ الْجَمْرِ ، هٰذَا ، وَ أَهْلُ الْأَكْوَاخِ الْحَقِيْرَةِ وَ الْخُصَصِ وَالْبُيُوْتِ الْمَبْنِيَّةِ مِنَ اللَّبِنِ أَنْعَمُ فِي الصَّيْفِ مِنْ أَهْلِ الْقُصُوْرِ الْمَبْنِيَّةِ مِنَ الْجِصِّ وَ الْآجُرِّ ، فَإِذَا رَشُّوا الْمَاءَ عَلَى الْأَرْضِ وَ الْجُدْرَانِ ، وَ هَبَّتْ نَفْحَةٌ مِّنْ سَمُوْمٍ تَحَوَّلَتْ نَفْحَةً مِّنْ نَّسِيْمٍ ، وَّ حَسِبُوْا أَنَّهُمْ فِيْ

جَنَّةٍ وَّ نَعِيْمٍ .

إِرْتَفَعَتْ دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ إِلَىٰ مِائَةٍ وَّ ثَمَانِيَ عَشَرَةَ نُقْطَةً ، فَعِيْلَ صَبْرُ النَّاسِ ، وَ سَافَرَ الْأَغْنِيَاءُ إِلَىٰ قُلَلِ الْجِبَالِ حَيْثُ يَصْطَافُوْنَ وَ يَقْضُوْنَ شَهْرَيْ مَايُوْ وَ يُوْنِيَهْ حَتَّىٰ إِذَا نَزَلَتِ الْأَمْطَارُ ، وَ لَطُفَ الْحَرُّ هَبَطُوْا إِلَىٰ الْمُدُنِ وَ السُّهُوْلِ .

وَ بَقِيَ أَوْسَاطُ النَّاسِ ، وَ أَهْلُ الْأَشْغَالِ يَتَحَمَّلُوْنَ الْحَرَّ ، وَ يَصْبِرُوْنَ لِلسَّمُوْمِ .

أَلْآنَ رَكَدَتِ السَّمُوْمُ ، وَ مَالَتِ الشَّمْسُ ، وَ طَابَ الْخُرُوْجُ ، وَ انْتَشَرَ النَّاسُ فِي الْبَسَاتِيْنِ وَ الْمَيَادِيْنِ وَ شَوَاطِئِ الْأَنْهَارِ يَتَرَوَّحُوْنَ وَيَتَنَزَّهُوْنَ ، فَلَا تَجِدُ فِي الْبَيْتِ إِلَّا شَيْخًا هَرِماً أَوِ امْرَأَةً أَوْ عَاجِزًا ، وَ مَنْ حَبَسَهُ شُغْلٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ حَاجَةٌ ، وَ قَدْ تَسْتَمِرُّ السَّمُوْمُ إِلَى اللَّيْلِ ، فَلَا يَسْتَرِيْحُ النَّاسُ وَ يَتَقَلَّبُوْنَ عَلَى الْفِرَاشِ ، وَقَدْ يَحْتَبِسُ الْهَوَاءُ ، فَيَسِيْلُ الْعَرَقُ ، وَ تَتَحَرَّكُ الْمَرَاوِحُ ، وَ يَطِيْرُ النَّوْمُ .

⑥ أَلنَّظَافَةُ

طَاهِرُ ابْنُ فَلَّاحٍ ، يَسْكُنُ أَبُوْهُ فِي الْقَرْيَةِ ، وَ يُرْسِلُ إِلَىٰ طَاهِرٍ قَلِيْلاً مِّنَ النُّقُوْدِ كُلَّ شَهْرٍ .

وَلٰكِنَّ طَاهِراً وَّلَدٌ مُّدَبِّرٌ عَاقِلٌ ، ثِيَابُهُ مُتَوَاضِعَةٌ ، وَ لٰكِنَّهَا دَائِماً نَظِيْفَةٌ مُّرَتَّبَةٌ لَّا تَرَى فِيْهَا وَسَخاً ، يَغْسِلُهَا بِيَدِهِ كُلَّ جُمُعَةٍ ، وَعِنْدَهُ إِبْرَةٌ وَّخَيْطٌ ، فَإِذَا تَخَرَّقَ ثَوْبٌ خَاطَهُ بِالْإِبْرَةِ أَوْ رَقَعَهُ بِنَفْسِهِ .

وَلَا يَخْجَلُ إِذَا خَرَجَ فِيْ ثَوْبٍ مَّرْقُوْعٍ ، وَلٰكِنَّهُ يَخْجَلُ إِذَا خَرَجَ فِيْ ثَوْبٍ وَّسِخٍ ، وَ مَا رَآهُ أَصْدِقَاؤُهُ فِيْ ثِيَابٍ وَّسِخَةٍ أَبَداً ، فَيَحْسَبُوْنَ أَنَّهُ غَنِيٌّ ، عِنْدَهُ ثِيَابٌ كَثِيْرَةٌ ، وَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَرْبَعَ بِذْلَاتٍ .

وَ إِذَا دَخَلْتَ فِيْ حُجْرَتِهِ رَأَيْتَهَا نَظِيْفَةً مُنْتَظِمَةً ، وَ رَأَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ فِيْ مَحَلِّهِ ، فَلَا يَضِيْعُ وَقْتُهُ فِيْ تَفَقُّدِ الْأَشْيَاءِ وَ الْتِمَاسِهَا ، وَإِذَا دَخَلَ فِي الظَّلَامِ قَدَرَ عَلَىٰ أَنْ يَأْخُذَ مَا يُرِيْدُهُ لِأَنَّهُ فِيْ مَحَلِّهِ .

وَ كُتُبُهُ فِيْ نِظَامٍ دَائِماً ، وَ هِيَ نَظِيْفَةٌ لَّا تَرَىٰ عَلَيْهَا غُبَارًا وَّ لَا تُرَاباً ، وَ لَا تَرَىٰ فِيْهَا أَثَرَ دُهْنٍ

وَمِسْحَةَ يَدٍ ، وَلاَ كِتَابَةً وَتَمْرِيناً، كَأَنَّهُ اشْتَرَاهَا الْيَوْمَ،
وَ لاَ يَكْتُبُ اسْمَهُ إِلاَّ فِيْ مَكَانٍ وَّاحِدٍ بِخَطٍّ جَيِّدٍ .

وَ إِذَا قَامَ طَاهِرٌ فِي الصَّبَاحِ تَوَضَّأَ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ
وَ اسْتَاكَ ، وَ نَظَّفَ أَسْنَانَهُ.

وَ يَغْتَسِلُ طَاهِرٌ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّيْفِ ، وَ أَكْثَرَ
مِنْ مَرَّةٍ فِيْ أُسْبُوْعٍ فِي الشِّتَاءِ، لِذٰلِكَ تَرَاهُ يَمْرَضُ قَلِيْلاً،
وَ هُوَ قَوِيٌّ نَّشِيْطٌ .

وَ فِيْ فَصْلِ طَاهِرٍ وَّلَدٌ غَنِيٌّ اسْمُهُ شَاهِدٌ ، وَ هُوَ
ضِدُّ طَاهِرٍ فِي النَّظَافَةِ وَ النِّظَامِ ، فَثِيَابُهُ غَالِيَةٌ جَمِيْلَةٌ
وَ لٰكِنَّهَا فِي الْغَالِبِ وَسِخَةٌ دَنِسَةٌ ، وَ هُوَ يُغَيِّرُ مَلاَبِسَهُ
سَرِيْعاً ، وَّ لٰكِنَّهُ يُوَسِّخُهَا سَرِيْعاً

وَ كَذٰلِكَ كُتُبُهُ دَائِماً فَجِلْدُهَا مَشْقُوْقٌ ، وَ وَرَقُهَا
مَخْرُوْقٌ ، كَأَنَّ طِفْلاً عَبَثَ بِهَا أَوْ مَشَتْ عَلَيْهَا سِكَّةُ
الْفَلاَّحِ أَوْدَاسَتْهَا مَرْكَبَةٌ .

وَ كُتُبُهُ وَ دَفَاتِرُهُ مَعْرِضٌ ، أَوْ مَتْحَفٌ، تَرَى فِيْهَا
رُسُوْمًا وَّ صُوَرًا ، وَّ تَوْقِيْعَاتٍ وَّتَمْرِيْنَاتٍ ، وَّ أَشْكَالاً
رِّيَاضِيَّةً وَّ خَرَائِطَ جُغْرَافِيَّةً .

وَ إِذَا قُلْتَ لِشَاهِدٍ : لِمَاذَا لاَ تُحَافِظُ عَلَى النَّظَافَةِ وَالنِّظَامِ ؟ قَالَ: إِنَّهُ يَضِيْعُ فِيْ ذٰلِكَ وَقْتٌ كَثِيْرٌ، وَالْوَقْتُ شَيْءٌ غَالٍ !

وَ تَرَاهُ يُضَيِّعُ وَقْتاً طَوِيْلاً فِيْ تَفَقُّدِ الْأَشْيَاءِ ، وَ تَغْيِيْرِ الْمَلاَبِسِ بِسُرْعَةٍ ، وَ لاَ يَفْطَنُ لِذٰلِكَ .

⑦ أَلْحَنِيْنُ إِلَى الشَّهَادَةِ

۱

لَمَّا أَرَادَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ الْخُرُوْجَ إِلَى بَدْرٍ لِّيُقَاتِلَ الْمُشْرِكِيْنَ وَ خَرَجَ غُلاَمٌ اسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ أَبِيْ وَقَّاصٍ عُمُرُهُ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً .

وَ كَانَ عُمَيْرٌ يَّخَافُ أَنْ لَّا يَقْبَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، لِأَنَّهُ صَغِيْرٌ، فَكَانَ يَجْتَهِدُ أَنْ لَّا يَرَاهُ أَحَدٌ ، وَكَانَ يَتَوَارٰى .

وَ لٰكِنْ رَّآهُ أَخُوْهُ الْأَكْبَرُ سَعْدُ بْنُ أَبِيْ وَقَّاصٍ فَقَالَ لَهُ: مَالَكَ يَا أَخِيْ ؟ لِأَيِّ شَيْءٍ تَتَوَارٰى ؟ .

قَالَ عُمَيْرٌ : أَخَافُ أَنْ يَّرُدَّنِيْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ

فَإِنِّيْ صَغِـيْرٌ ، وَ أَنَا أُحِبُّ الْخُرُوْجَ ، لَعَلَّ اللّٰهَ يَرْزُقُنِيَ الشَّهَادَةَ .

وَ كَانَ كَمَا خَافَ عُمَيْرٌ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ رَأٰى أَنَّهُ صَغِيْرٌ ، وَ الْحَرْبُ لَيْسَتْ مِنْ شُغْلِ الْأَطْفَالِ وَ الْغِلْمَانِ ، وَ مَا يَصْنَعُوْنَ فِي الْحَرْبِ ، وَإِنَّهَا لَكَبِيْرَةٌ عَلَى الرِّجَالِ ؟

وَ لٰكِنَّ عُمَيْرًا مَّا أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ ، وَ يَقْعُدَ فِي الْبَيْتِ ، أَوْ يَلْعَبَ مَعَ أَتْرَابِهٖ ، و أَصْدِقَائِهٖ فِي الْمَدِيْنَةِ ، وَ إِنَّهُ لَيُرِيْدُ الشَّهَادَةَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ !

وَ لٰكِنَّ عُمَيْرًا لَّا يَعْصِيْ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ ، وَلَا يُعَانِدُ ، فَإِنَّهُ لَا يُرِيْدُ إِلَّا رِضَاءَ اللّٰهِ ، وَهَلْ يَنَالُ رِضَاءَ اللّٰهِ إِذَا عَصٰى رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ ؟ أَبَدًا !

كَانَ عُمَيْرٌ فِيْ حَيْرَةٍ وَّ حُزْنٍ شَدِيْدٍ ، هُوَ لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ الْقِتَالِ ، وَ لٰكِنَّهُ يَحِنُّ إِلَى الشَّهَادَةِ ، وَ إِلَى الْمَوْتِ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ، وَ يَحِنُّ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَ يَرَاهَا غَيْرَ بَعِيْدَةٍ ، وَ لٰكِنْ كَيْفَ يَصِلُ إِلَيْهَا ، وَ هُوَ لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ الْقِتَالِ ؟!

كُلُّ ذٰلِكَ ثَقُلَ عَلٰى عُمَيْرٍ ، وَ كَانَ قَلْبُهٗ صَغِيْرًا فَبَكٰى ، وَ لَمَّا بَكٰى عُمَيْرٌ رَقَّ لَهٗ قَلْبُ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ ، وَ كَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ رَقِيْقًا رَّفِيْقًا فَأَجَازَهٗ .

لَا تَسْأَلُوْا عَنْ فَرَحِ عُمَيْرٍ وَّ سُرُوْرِهٖ لَمَّا أَجَازَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَكَأَنَّمَا نَالَ تَذْكِرَةَ الْجَنَّةِ .

وَ خَرَجَ عُمَيْرٌ مَّعَ أَخِيْهِ وَ مَعَ الْمُسْلِمِيْنَ ، وَ كُلُّهُمْ كِبَارٌ وَّ أَقْوِيَاءُ ، وَ كَانَ كَمَا أَرَادَ ، فَقَدْ قُتِلَ شَهِيْدًا فِي الْغَزْوَةِ ، وَسَبَقَ كَثِيْرًا مِّنَ الشُّبَّانِ وَالشُّيُوْخِ . رَضِيَ اللّٰهُ عَنْ عُمَيْرٍ وَّ أَرْضَاهُ .

⑧ أَلْحَنِيْنُ إِلَى الشَّهَادَةِ

وَ لَمَّا خَرَجَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ إِلٰى أُحُدٍ لِّقِتَالِ قُرَيْشٍ خَرَجَ مَعَهٗ مِنَ الْمَدِيْنَةِ غِلْمَانٌ يُّحِبُّوْنَ الْجِهَادَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ، وَكَانُوْا صِغَارًا ، لَمْ يَتَجَاوَزُوا الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِمْ ، فَرَدَّهُمْ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ ، لِأَنَّهُمْ صِغَارٌ ، لَمْ يَبْلُغُوْا سِنَّ الْقِتَالِ ، فَيَكُوْنُوْنَ كَالْمَتَاعِ ، وَ يَشْغَلُوْنَ

الْكِبَارَ أَيْضاً يُرَاقِبُونَهُمْ وَ يَحْرِسُوْنَهُمْ .

وَ كَانَ فِيْ هٰؤُلَاءِ الْغِلْمَانِ وَلَدٌ، اسْمُهُ رَافِعُ بْنُ خَدِيْجٍ ، وَ هُوَ دُوْنَ الْخَامِسَةَ عَشَرَةَ مِنْ سِنِّهِ ، وَكَانَ يَتَطَاوَلُ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ ، لِيَظُنَّ النَّاسُ أَنَّهُ كَبِيْرٌ، قَدْ بَلَغَ سِنَّ الْقِتَالِ ، فَلَا يُفْطَنُ لِصِغَرِ سِنِّهِ وَ ضُعْفِهِ .

وَ لٰكِنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ رَدَّهُ ، لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ صَغِيْرٌ، وَأَنَّهُ يَتَطَاوَلُ ، فَشَفَعَ لَهُ أَبُوْهُ ، وَ قَالَ : يَا رَسُوْلَ اللهِ! إِنَّ ابْنِيْ رَافِعًا رَامٍ، فَأَذِنَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ .

فَفَرِحَ رَافِعٌ كَثِيْراً لَمَّا أَذِنَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ ، وَ خَرَجَ مَعَ الْمُجَاهِدِيْنَ ، وَ هُوَ أَكْثَرُ سُرُوْرًا مِّنْ غِلْمَانٍ يَخْرُجُوْنَ إِلَى الْمُصَلّٰى يَوْمَ الْعِيْدِ فِيْ لِبَاسٍ جَدِيْدٍ .

وَ كَانَ وَلَدٌ آخَرُ اسْمُهُ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ فِيْ سِنِّ رَافِعٍ ، فَعُرِضَ عَلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ بَعْدَ رَافِعٍ فَرَدَّهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لِصِغَرِهِ أَيْضًا ، فَقَالَ سَمُرَةُ : لَقَدْ أَجَزْتَ رَافِعًا وَّ رَدَدْتَنِيْ ، وَ لَوْ صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ .

فَأَمَرَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ سَمُرَةَ وَ رَافِعًا بِالْمُصَارَعَةِ فَصَرَعَ سَمُرَةُ رَافِعًا كَمَا قَالَ ، وَ اسْتَحَقَّ أَنْ يُسْمَحَ لَهُ

بِالدُّخُوْلِ فِي صَفِّ الْمُجَاهِدِيْنَ .

فَأَجَازَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ سَمُرَةَ لِلْخُرُوْجِ ، فَخَرَجَ سَمُرَةُ ، وَ قَاتَلَ يَوْمَ أُحُدٍ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ .

رَضِيَ اللهُ عَنْ رَّافِعٍ وَّ سَمُرَةَ ، وَرَزَقَنَا اتِّبَاعَهُمَا .

⑨ كُنْ أَحَدَ السَّبْعَةِ

—(١)—

كَانَ الْيَوْمُ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ يُوْنِيُوْ يَوْمًا شَدِيْدَ الْحَرِّ ، وَ كَانَ يَوْمَ عُطْلَةٍ ، فَكَانَ مَحْمُوْدٌ وَّ أَحْمَدُ وَ عُثْمَانُ فِي الْبَيْتِ ، وَكَانُوْا مَعَ أَبِيْهِمْ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فِي النَّهَارِ ، وَكَانُوْا يَتَأَفَّفُوْنَ مِنَ الْحَرِّ ، وَ يَتَقَلَّبُوْنَ عَلَى الْفِرَاشِ كَأَنَّهُمْ عَلَى الْجَمْرِ

قَالَ مَحْمُوْدٌ : يَا لَطِيْفُ ! مَا أَشَدَّ الْحَرَّ ! .

قَالَ أَبُوْهُمْ سُلَيْمَانُ : أَتَعْرِفُ يَا مَحْمُوْدُ! كَمْ تَبْعُدُ الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ ؟

مَحْمُوْدٌ: لَا! يَا أَبِيْ ، وَ لٰكِنِّيْ أَعْرِفُ أَنَّهَا بَعِيْدَةٌ جِدًّا .

سُلَيْمَانُ : سَتَقْرَأُ فِي الْمَدْرَسَةِ أَنَّ الشَّمْسَ تَبْعُدُ مِنَ

الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعِيْنَ مَلْيُوْنًا مِّنَ الْأَمْيَالِ ، وَ الْحَرُّ كَمَا تَرَىٰ، فَكَيْفَ إِذَا دَنَتِ الشَّمْسُ حَتَّىٰ تَكُوْنَ مِقْدَارَ مِيْلٍ ؟ !

مَحْمُوْدٌ : أَلْعِيَاذُ بِاللهِ ! وَ مَتَىٰ هٰذَا يَا أَبِيْ ؟

سُلَيْمَانُ : ذٰلِكَ يَا بُنَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَقُوْمُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ .

أَحْمَدُ : وَ كَيْفَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا أَبَتِ ؟ .

سُلَيْمَانُ : يَكُوْنُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُوْنُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَكُوْنُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُوْنُ إِلَى حَقْوَيْهِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا .

عُثْمَانُ : أَوَ لَيْسَ هُنَالِكَ ظِلٌّ أَوْ مَكَانٌ يَسْتَظِلُّ بِهِ النَّاسُ ؟

سُلَيْمَانُ : بَلَىٰ يَا وَلَدِيْ، فَهُنَالِكَ ظِلٌّ لَّا يَنْعَمُ بِهِ إِلَّا سَبْعَةٌ مِّنَ الرِّجَالِ .

أَلْأَوْلَادُ : وَ مَنْ أُولٰئِكَ السُّعَدَاءُ يَا أَبَانَا ؟ لَعَلَّنَا نَجْتَهِدُ أَنْ نَّكُوْنَ مِنْهُمْ .

سُلَيْمَانُ : يَا أَوْلَادِيْ! يَنْبَغِيْ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَّجْتَهِدَ أَنْ يَّكُوْنَ أَحَدَ السَّبْعَةِ ، وَ أَنَا أَعُدُّ لَكُمْ أُوْلٰئِكَ السَّبْعَةَ :

(١) إِمَامٌ عَادِلٌ .

وَ قَطَعَ عَلَيْهِ أَحَدُ الْأَوْلَادِ ، وَ قَالَ : وَ مَنْ هُوَ الْإِمَامُ ، أَهٰذَا الَّذِيْ يُصَلِّيْ بِالنَّاسِ ؟

سُلَيْمَانُ : هُوَ أَيْضًا عَلٰى خَيْرٍ، لٰكِنَّ الْمُرَادَ هُنَا أَمِيْرُ الْمُسْلِمِيْنَ .

وَ ابْتَدَرَ الْأَوْلَادُ ، وَ قَالُوْا : قَدْ فَهِمْنَا، هٰذَا كَالْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، وَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيْزِ ، وَ قَدْ سَمِعْنَا كَثِيْرًا مِّنْ حِكَايَاتِهِمْ مِنْ أُمِّنَا .

⑩ كُنْ أَحَدَ السَّبْعَةِ

٢

قَالَ سُلَيْمَانُ : وَ الثَّانِيْ يَا أَوْلَادِيْ! شَابٌّ نَشَأَ فِيْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالٰى .

هُنَالِكَ وَقَفَ الشَّيْخُ ، وَ قَالَ : يُمْكِنُ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْكُمْ يَا أَوْلَادِيْ! أَنْ يَكُوْنَ ذٰلِكَ الشَّبَابَ السَّعِيْدَ ،

وَ لٰكِنْ إِذَا ضَيَّعْتُمْ فُرْصَةَ الشَّبَابِ ، فَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا الْحَسْرَةُ وَ النَّدَامَةُ .

(٣) رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ .

قَالَ الْأَوْلَادُ : هُوَ كَالشَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ فِي حَيِّنَا ، فانه لَا يَرْتَاحُ إِلَّا إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَ لَا تَفُوتُهُ جَمَاعَةٌ ، وَّ لَا نَظُنُّهُ يَبِيتُ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ .

قَالَ سُلَيْمَانُ : لَا يَا أَوْلَادِيْ! وَ لٰكِنَّهُ مُحَافِظٌ عَلَى الصَّلَاةِ وَ الْجَمَاعَةِ ، وَ قَدْ أَخْبَرَنِيْ أَنَّهُ مَا فَاتَتْهُ صَلَاةٌ فِيْ جَمَاعَةٍ مُّنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ أَوْ أَكْثَرَ .

(٤) رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ، و تَفَرَّقَا عَلَيْهِ .

وَ إِذَا أَرَدْتُّمْ أَنْ تَرَوْهُمَا ، فَانْظُرُوْا إِلَى الشَّيْخِ صَالِحٍ وَ الشَّيْخِ حَمْزَةَ ، فَهٰذَا مِنَ الْهِنْدِ ، وَ ذٰلِكَ مِنْ بُخَارَا ، وَ هُمَا أَخَوَانِ فِي اللهِ .

وَ يُمْكِنُ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْكُمْ أَنْ يَنَالَ هٰذِهِ الْفَضِيْلَةَ ، وَ ذٰلِكَ بِأَنْ يَخْتَارَ مِنْ صَفِّهِ وَ رُفْقَتِهِ الصَّالِحَ مِنَ الْأَوْلَادِ فَيُصَادِقَهُ وَ يَجْتَهِدُ أَنْ تَكُوْنَ صَدَاقَتُهُ لِلدِّيْنِ .

(٥) وَ رَجُلٌ اقْتَدَىٰ بِيُوسُفَ (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَ السَّلاَمُ) فِي الْعِفَّةِ وَ الْأَمَانَةِ ، وَ قَدْ سَمِعْتُمْ قِصَّتَهُ .

قَالَ الْأَوْلاَدُ : نَعَمْ !

(٦) وَ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ .

وَ ذٰلِكَ مِثْلُ جَدِّكُمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَعْرِفْ بِرَّهُ وَ إِحْسَانَهُ إِلَى الْمَسَاكِينِ وَالضَّعَفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلاَّ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقَدْ جَاءَتِ الْعَجَائِزُ وَ الْأَرَامِلُ يَبْكِينَهُ ، وَ يَذْكُرْنَ خَيْرَهُ وَ بِرَّهُ ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَشْرَافٌ مِّنْ أَهْلِ هٰذَا الْحَيِّ أَنَّهُ كَانَ يُوَاسِيهِمْ ، وَيَصِلُهُمْ بِمَعْرُوفٍ كُلَّ شَهْرٍ ، وَّ لَمْ نَعْلَمْ ذٰلِكَ أَهْلَ الْبَيْتِ .

(٧) وَ رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ .

قَالَ الْأَوْلاَدُ : أَمَّا نَحْنُ فَنَجْتَهِدُ جَمِيعاً أَنْ نَّكُونَ شُبَّاناً نَشَأُوا فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ ، وَنَجْتَهِدُ فِي غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ أَيْضًا ، وَلَعَلَّنَا يَا أَبَانَا إِذَا جَمَعْنَا مِنْهَا خِصَالاً نَنَالُ بِهَا مَكَانًا خَاصًّا فِي ذٰلِكَ الظِّلِّ أَيْضًا ، فَفَرْقٌ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي بِفَضِيلَةٍ ، وَّ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي بِفَضَائِلَ .

سُلَيْمَانُ : هُوَ كَذٰلِكَ . « إِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ ، وَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا » .

(١١) أَلْعَيْنُ

١

أَلْعَيْنُ مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِ اللّٰهِ تَعَالٰى ، فَقَدْ خَلَقَهَا اللّٰهُ تَعَالٰى مِرْآةً صَافِيَةً تَتَحَرَّكُ يَمِيْنًا وَّ شِمَالًا ، وَّ فَوْقُ وَتَحْتُ ، يَنْظُرُ بِهَا الْإِنْسَانُ إِلَى جَمِيْعِ الْجِهَاتِ ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِيْ مَحْجِرٍ صُلْبٍ مِّنَ الْعَظْمِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا مِنَ الْجُفُوْنِ غِطَاءً يَّحْفَظُهَا مِنَ الْأَذٰى ، وَ حَاطَهَا بِأَهْدَابٍ مِّنَ الشَّعْرِ لِتَكُوْنَ سِيَاجًا يَّذُبُّ عَنْهَا الذُّبَابَ وَ الْبَعُوْضَ وَ الْغُبَارَ الَّتِيْ تَدْخُلُ الْعَيْنَ ، فَتُسَبِّبُ لَهَا الْأَلَمَ وَ الْمَرَضَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا مَاءً جَارِيًا يَّغْسِلُ مَا يَدْخُلُ فِيْهَا مِنَ الْأَوْسَاخِ .

وَ الْعَيْنُ عُرْضَةٌ لِّكَثِيْرٍ مِّنَ الْأَمْرَاضِ ، كَالرَّمَدِ وَ قِصَرِ النَّظَرِ ، وَ قَدْ عَمَّ هٰذَا الْمَرَضُ الْأَخِيْرُ فِيْ هٰذَا الزَّمَانِ ، فَلَجَأَ النَّاسُ حَتَّى الْأَطْفَالُ إِلَى اسْتِعْمَالِ مِنْظَرَةٍ ، وَ لِلْاِجْتِنَابِ عَنْ هٰذِهِ الْأَمْرَاضِ يَحْسُنُ الْاِعْتِزَالُ عَنِ

الْغُبَارِ وَ الْأَتْرِبَةِ ، وَ يَحْسُنُ التَّجَوُّلُ فِي الْأَمَاكِنِ الْفَسِيْحَةِ ، وَ كَثْرَةُ غَسْلِ الْوَجْهِ بِالْمَاءِ الصَّافِي ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الْعَيْنَ ، وَ يُنَقِّيْهَا مِنَ الْأَوْسَاخِ وَالْقَذَى ، وَلِذٰلِكَ كَانَ الْوُضُوْءُ خَمْسَ مَرَّاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ـ خُصُوْصًا فِي الصَّبَاحِ عِنْدَ الْقِيَامِ ـ نَافِعاً جِدًّا .

وَ مُوَاصَلَةُ الْقِرَاءَةِ لَيْلاً فِي النُّوْرِ الضَّعِيْفِ تُؤَثِّرُ فِي النَّظَرِ تَأْثِيْراً كَبِيْراً، وَّ تَضُرُّ بِهٖ ضَرَرًا عَظِيْماً ، فَعَلَى مَنْ أَلْجَأَتْهُ الضَّرُوْرَةُ إِلَى ذٰلِكَ أَنْ يَّسْتَعْمِلَ مِنَ الْمَصَابِيْحِ مَا كَانَ ذَا نُوْرٍ رَّائِقٍ مُّعْتَدِلٍ غَيْرِ سَاطِعٍ وَّ لَا ضَعِيْفٍ .

وَالْعَيْنُ جَوْهَرَةٌ غَالِيَةٌ لَّا يُمْكِنُ أَنْ تُشْتَرَى بِالْمَالِ، وَ بِهَا يَتَمَتَّعُ الْإِنْسَانُ بِجَمَالِ الطَّبِيْعَةِ ، وَ يَقْضِيْ بِهَا حَاجَاتٍ فِي نَفْسِهٖ ، وَ يَكُوْنُ عُضْواً عَامِلاً مُّفِيْدًا مِّنْ أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَ إِذَا فَقَدَ الْإِنْسَانُ بَصَرَهُ حُرِمَ شَيْئاً كَثِيْراً مِّنْ نِّعَمِ الدُّنْيَا وَ مَحَاسِنِهَا ، فَكَأَنَّمَا أَظْلَمَ لَهُ الْعَالَمُ ، وَ كَانَ كَلًّا عَلَى غَيْرِهٖ، وَ رُبَّمَا كَانَ عِيَالاً عَلَى عَصًا حَقِيْرَةٍ لَّا يَمْشِيْ بِغَيْرِهَا .

⑫ اَلْعَيْنُ

—(٢)—

وَلِذٰلِكَ كَانَتِ الْعَيْنُ ثَمِيْنَةً غَالِيَةً وَنِعْمَةً جَلِيْلَةً ، حَتّٰى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيْ بِحَبِيْبَتَيْهِ فَصَبَرَ ، عَوَّضْتُهُ مِنْهَا الْجَنَّةَ ، يُرِيْدُ عَيْنَيْهِ .

وَ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُوْنَ الْإِنْسَانُ إِذَا فَقَدَ بَصَرَهُ عَاطِلًا ضَائِعاً ، فَلَقَدْ فَاقَ كَثِيْرٌ مِّنَ الْعُمْيَانِ كَثِيْرًا مِّنْ أَهْلِ الْبَصَرِ فِي الْعِلْمِ ، وَ أَقَرَّتْ لَهُمُ الدُّنْيَا بِالْفَضْلِ ، كَالْمُفَسِّرِ قَتَادَةَ ، وَالْمُحَدِّثِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، وَ الْفَقِيْهِ زُبَيْرٍ الْبَصْرِيِّ ؛ وَ النَّحْوِيِّ أَبِيْ جَعْفَرٍ ، وَالْأَدِيْبِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيْ ، وَ الشَّاعِرِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ ، وَ إِمَامِ التَّجْوِيْدِ الْإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ .

وَ مِنْ حَقِّ هٰذِهِ النِّعْمَةِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ وَ أَنْ يَضِنَّ بِهَا عَنْ مَحَارِمِ اللّٰهِ ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالٰى « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ، وَ مَا تُخْفِي الصُّدُوْرُ »

وَ مِنْ حَقِّهَا أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا فِيْ طَاعَةِ اللّٰهِ ، وَأَنْ يُرِيْقَ دَمْعَهَا فِيْ خَشْيَةِ اللّٰهِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ .

« لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ قَطْـرَتَيْنِ وَ أَثَرَيْنِ : قَطْرَةِ دُمُوْعٍ مِّنْ خَشْيَـةِ اللهِ ، وَ قَطْرَةِ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيْلِ اللهِ ، وَ أَمَّا الْأَثَرَانِ : فَأَثَرٌ فِي سَبِيْلِ اللهِ ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيْضَةٍ مِّنْ فَرَائِضِ اللهِ » .

وَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُوْلُ فِي دُعَائِهِ : أَللّٰهُمَّ إِنِّيْ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَّا يَنْفَعُ ، وَ مِنْ قَلْبٍ لَّا يَخْشَعُ ، وَ مِنْ نَفْسٍ لَّا تَشْبَعُ ، وَمِنْ عَيْنٍ لَّا تَدْمَعُ ، وَ مِنْ دُعَاءٍ لَّا يُسْمَعُ ، وَ مِنْ دَعْوَةٍ لَّا يُسْتَجَابُ لَهَا .



١٣ أَدَبُ الْمُعَاشَرَةِ

أُسْلُكْ مَعَ النَّاسِ الْأَدَبْ — تَرَ مِنَ الدَّهْرِ الْعَجَبْ
وَ لَا تُطَاوِلْ بِنَشَبْ — وَ لَا تُفَاخِرْ بِنَسَبْ
أَلْعِزُّ فِي الْأَمَانَةْ — وَالْكَيْسُ فِي الْفَطَانَةْ
لَا تُغْضِبِ الْجَلِيْسَا — لَا تُوحِشِ الْأَنِيْسَا
لَا تُكْثِرِ الْعِتَابَا — تُنَفِّرِ الْأَصْحَابَا
فَكَثْرَةُ الْمُعَاتَبَةْ — تَدْعُوْ إِلَى الْمُجَانَبَةْ
وَ إِنْ حَلَلْتَ مَجْلِسًا — بَيْنَ سَرَاةٍ رُؤَسَا
فَاقْصِدْ رِضَا الْجَمَاعَةِ — وَكُنْ غُلَامَ الطَّاعَةِ
وَ قُلْ مِنَ الْكَلَامِ — مَا رَاقَ بِالْمَقَامِ
كَرَائِقِ الْأَشْعَارِ — وَ طَيِّبِ الْأَخْبَارِ
وَاتْرُكْ كَلَامَ السَّفَلَةِ — وَ النُّكَتَ الْمُبْتَذَلَةَ
وَ لَا تَكُنْ مِلْحَاحًا — وَ اجْتَنِبِ الْمِزَاحَا

فَكَثْرَةُ الْمُجُوْنِ
نَوْعٌ مِّنَ الْجُنُوْنِ

⑭ عِيدُ الأَضْحَى

كَانَ الْيَوْمُ الأَخِيرُ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَكَانَ الْيَوْمُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنَ الشَّهْرِ، رَأَى وَالِدِي الْهِلَالَ، وَكَانَ دَقِيقاً جِدًّا ، وَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا بِاجْتِهَادٍ وَّ بَحْثٍ ؛ وَرَأَيْتُ وَالِدِي يَقُولُ وَيَدْعُو ، قُلْتُ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ فِي دُعَائِكَ يَا أَبِي ؟
قَالَ وَالِدِي: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ :
« أَللّٰهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَ الْإِيمَانِ وَ السَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ ، رَبِّيْ وَرَبُّكَ اللّٰهُ ، هِلَالُ رُشْدٍ وَّخَيْرٍ » .

فَتَعَلَّمْتُهُ مِنْ وَّالِدِي وَ حَفِظْتُهُ .

وَظَنَنْتُ أَنَّ الْعِيدَ غَدًا ، فَأَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّ الْعِيدَ بَعْدَ تِسْعَةِ أَيَّامٍ، فَإِنَّ عِيدَ الْأَضْحَى الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ ،

وَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنَ الشَّهْرِ عُطِّلَتِ الْمَدْرَسَةُ ، وَأَخْبَرَنِي الْمُعَلِّمُ أَنَّ الْحُجَّاجَ يَذْهَبُونَ الْيَوْمَ إِلَى مِنًى حَيْثُ يَبِيتُونَ ، وَ هٰذَا الْيَوْمُ يُسَمَّى يَوْمَ التَّرْوِيَةِ .

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ ، وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ ، يَذْهَبُ الْحُجَّاجُ إِلَى عَرَفَاتٍ ، وَّيَظَلُّونَ هُنَالِكَ يَدْعُونَ وَيَذْكُرُونَ

اللهَ ، وَيَذْهَبُونَ مِنْهَا إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ وَيَبِيْتُوْنَ هُنَالِكَ ، وَفِيْ صَبَاحِ الْيَوْمِ الْعَاشِرِ يَرْجِعُوْنَ إِلٰى مِنًى وَ يَنْحَرُوْنَ ، وَ ذٰلِكَ يَوْمُ النَّحْرِ وَ هُوَ يَوْمُ الْعِيْدِ .

وَ كَانَ أَبِي اشْتَرٰى بَقَرَةً سَمِيْنَةً لِّلذَّبْحِ ، قَالَ : فِيْهَا سَبْعَةُ سِهَامٍ : إِثْنَانِ لِيْ وَلِأُمِّكَ ، وَ وَاحِدٌ لَّكَ ، وَأَرْبَعَةٌ لِّأَخَوَيْكَ وَ أُخْتَيْكَ .

وَكَانَ أَبِيْ يَعْلِفُهَا وَيَسْقِيْهَا بِنَفْسِهٖ ، وَقَالَ : فِيْ ذٰلِكَ فَضِيْلَةٌ وَّ أَجْرٌ .

وَ الْيَوْمَ الْعَاشِرَ غَيَّرْنَا اللِّبَاسَ ، وَ كَانَ أَبِيْ قَدْ أَعَدَّ لِيْ لِبَاسًا جَدِيْدًا ، أَمَّا الْحِذَاءُ ، فَكَانَ حِذَاءَ الْعِيْدِ ، وَ كَانَ نَظِيْفاً لَّمْ يَتَوَسَّخْ ، كَأَنَّهُ جَدِيْدٌ ، لِأَنِّيْ مَا كُنْتُ أَلْبَسُهُ إِلَّا قَلِيْلاً ، وَتَطَيَّبَ أَبِيْ وَغَيَّرَ اللِّبَاسَ ، وَخَرَجْنَا مَعَ الْجَمَاعَةِ إِلَى الْمُصَلّٰى ، فَكَبَّرَ وَهَلَّلَ جَهْرًا ، وَصَلَّى الْإِمَامُ بِالنَّاسِ وَخَطَبَ ، وَ ذَكَرَ أَحْكَامَ الْأُضْحِيَّةِ ، وَ رَجَعْنَا مِنَ الْمُصَلّٰى بِطَرِيْقٍ آخَرَ ، وَذَبَحَ أَبِي الْبَقَرَةَ ، وَسَمَّى اللهَ وَكَبَّرَ ، وَ وَزَّعَتْ أُمِّي اللَّحْمَ عَلَى الْمَسَاكِيْنِ وَ الْأَقَارِبِ وَ الْأَصْدِقَاءِ ، وَ طَبَخَتْ لَنَا أَيْضاً ، فَمَا تَغَدَّيْنَا إِلَّا بِلَحْمِ

أُضحِيَّتِنَا .

وَ تَوَفَّرَ كَثِيْرٌ مِّنَ اللَّحمِ ، فَاحْتَفَظَتْ بِهٖ أُمِّى وَأَيبَسَتْهُ ، وَ لَمْ نَزَلْ نَأْكُلُ مِنْ هٰذَا القَدِيْدِ مُدَّةً طَوِيْلَةً .

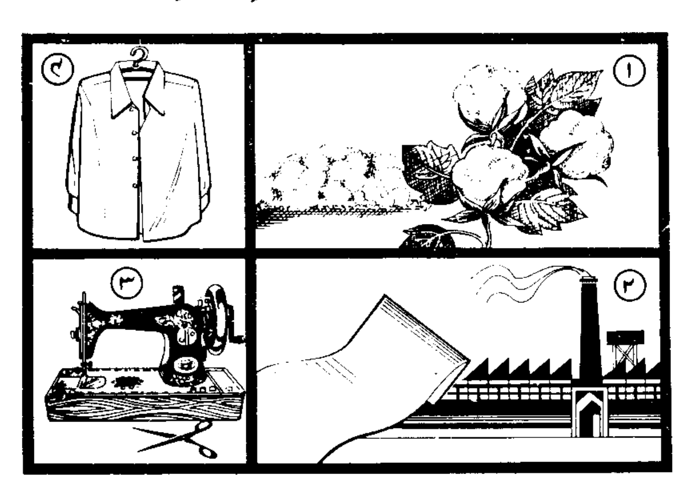
وَ كَانَتْ فِىْ أَيَّامِ الْعِيْدِ الثَّلاَثَةِ مَآدِبُ كَثِيْرَةٌ ، وَ كَانَتْ أَيَّامَ أَكْلٍ وَّ شُرْبٍ ، وَ قَدْ دَعَا أَبِىْ لَيْلَةَ يَوْمِ الْعِيْدِ جَمَاعَةً مِّنْ أَصْدِقَائِهٖ وَ جِيْرَانِهٖ ، وَ صَنَعَتْ أُمِّىْ طَعَاماً مُّلَوَّناً ، فَأَكْثَرَتْ وَ أَطَابَتْ .

وَ الْيَوْمَ الثَّانِىْ كُنَّا ضُيُوفاً عِنْدَ جَارِنَا الْكَرِيْمِ : السَّيِّدِ حُسَيْنِ الطَّبِيْبِ . وَ كَانَتْ مَأْدُبَةً عَظِيْمَةً ، وَ لَمْ آكُلْ مِنَ اللَّحمِ فِىْ طُوْلِ الشَّهرِ مَا أَكَلْتُ فِىْ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَّ لَمْ يَضُرَّ شَيْئاً .

وَ كُنْتُ أَسْمَعُ الْإِمَامَ مِنْ فَجْرِ يَوْمِ عَرَفَةَ إِلَىٰ عَصْرِ الْيَوْمِ الْأَخِيْرِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيْقِ يَعْنِىْ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ ذِى الْحِجَّةِ يُكَبِّرُ وَ يُهَلِّلُ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَّكْتُوبَةٍ .



⑮ تَارِيخُ الْقَمِيصِ



إِنَّكَ لَبِسْتَ قَمِيصًا جَدِيْداً ، فَأَبْلِ وَ أَخْلِقْ !
وَلٰكِنْ هَلْ تَعْرِفُ مِنْ تَارِيْخِهِ شَيْئاً ، هَلْ تَعْرِفُ كَمْ عَمِلَ فِيْهِ مِنَ الْأَيْدِيْ ، وَ كَمِ اشْتَغَلَ بِهِ النَّاسُ ، وَ كَمْ تَعِبَ فِيْهِ الْعَامِلُوْنَ ، وَ كَيْفَ وَصَلَ إِلَيْكَ ؟

كَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِ أَنَّ الزَّرَّاعَ زَرَعَ الْقُطْنَ وَتَحَمَّلَ فِيْ زِرَاعَتِهِ عَنَاءً شَدِيْداً ، فَإِنَّ زِرَاعَةَ الْقُطْنِ فِيْهَا تَعَبٌ عَظِيْمٌ ، وَشُغْلٌ طَوِيْلٌ ، حَرَثَ الْأَرْضَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، أَوْأَكْثَرَ ، وَشَقَّ خُطُوْطاً ، وَمَلَأَهَا بِالْمَاءِ ، وَتَرَكَهَا حَتّٰى

جَفَّتْ، وَحَفَرَ فِيْ جَنْبِهَا حُفَرًا، ثُمَّ بَذَرَ فِيهَا بُذُوْرًا مِّنَ الْقُطْنِ قَدْ نَقَعَهَا بِالْمَاءِ لَيْلَةً، وَ لَمَّا نَجَمَ النَّبَاتُ عَزَقَ الْفَلَّاحُ الْخُطُوْطَ، فَجَعَلَ بَاطِنَهَا ظَاهِرَهَا، وَقَلَعَ الْحَشَائِشَ الَّتِيْ تَضُرُّ بِالْقُطْنِ، وَأَرْوَاهَا مِرَارًا، وَلَمْ يَزَلِ الْفَلَّاحُ يَخْدُمُ الْحَقْلَ، وَيَتْعَبُ وَلَا يَسْتَرِيحُ شُهُوْرًا، حَتّٰى ظَهَرَ فِيهَا الْقُطْنُ، فَانْبَثَّ الْأَوْلَادُ مِنَ الْبَنِيْنَ وَ الْبَنَاتِ فِي الْحَقْلِ، وَ جَنَوُا الْقُطْنَ.

وَلَمَّا جُمِعَ الْقُطْنُ أُرْسِلَ إِلَى الْحَلَّاجِ، فَحَلَجَهُ، ثُمَّ نُقِلَ إِلٰى بَعْضِ الْمَصَانِعِ فَغُزِلَ، ثُمَّ أَخَذَهُ الْحَائِكُ، وَمَدَّهُ خُيُوْطًا مُّتَقَارِبَةً، وَلَمْ يَزَلْ يَشْتَغِلُ وَيَتْعَبُ أَيَّامًا، حَتّٰى نَسَجَهُ ثَوْبًا نَّاعِمًا مَّتِيْنًا، وَ اشْتَرٰى تَاجِرٌ ذٰلِكَ الثَّوْبَ وَوَضَعَهُ فِيْ دُكَّانِهِ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُوْكَ بِمَالِهِ الَّذِيْ اكْتَسَبَهُ بِعَرَقِ الْجَبِيْنِ، و تَعِبَ فِيهِ أَيَّامًا، وَّ أَنْتَ مُسْتَرِيحٌ فِي الْبَيْتِ تَأْكُلُ وَ تَنَامُ، وَ ذَهَبَ ذٰلِكَ الثَّوْبُ إِلٰى خَيَّاطٍ فَفَصَّلَ مِنْهُ لَكَ قَمِيْصًا، ثُمَّ خَاطَهُ لَيْلَةَ الْعِيْدِ وَهُوَ سَاهِرٌ، وَّ أَنْتَ فِيْ فِرَاشِكَ نَائِمٌ.

وَجَاءَ إِلَيْكَ الْقَمِيْصُ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ مِّنْكَ وَشُغْلٍ،

أَفَلَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ إِذَا لَبِسْتَهُ :
«أَللّٰهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِيْهِ ، وَ أَلْبَسْتَنِيْهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِّنِّيْ وَ لَا قُوَّةٍ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ ، وَ خَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ وَ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ» .

⑯ أَلْأَسَدُ

أَلْأَسَدُ مَلِكُ الْغَابَةِ ، وَ سَيِّدُ السِّبَاعِ ، وَ هَيْئَتُهُ تَدُلُّ عَلَىٰ ذٰلِكَ ، فَلَهُ مَنْظَرٌ مُّهِيْبٌ ، وَ زَئِيْرٌ تَدْوِىْ لَهُ الْغَابَاتُ ، وَيَطِيْرُ لَهُ قَلْبُ الشُّجَاعِ ؛ قَوِيُّ الْبَأْسِ، كَبِيْرُ الْجِسْمِ، يُحِيْطُ بِرَأْسِهِ شَعْرٌ كَبِيْرٌ يَّكَادُ يَحْجُبُ رُكْبَتَيْهِ، إِذَا غَضِبَ تَجَعَّدَتْ جَبْهَتُهُ وَ خَدَّاهُ ، وَ كَشَّرَ عَنْ أَنْيَابِهِ وَأَبْرَقَتْ عَيْنَاهُ ، وَ اخْتَلَجَ حَاجِبَاهُ ، وَوَقَفَ شَعْرُ بَدَنِهِ ، وَ ضَرَبَ بِذَنَبِهِ جَنْبَيْهِ ، وَ أَطْبَقَ عَيْنَيْهِ ، وَ مَالَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَ وَثَبَ عَلَىٰ فَرِيْسَتِهِ كَالصَّاعِقَةِ ، حَتّٰى إِذَا ظَفِرَ بِهَا أَخَذَ فِيْ مُلَاعَبَتِهَا ، ثُمَّ مَزَّقَهَا بِأَنْيَابِهِ تَمْزِيْقًا .
وَ إِذَا كَانَ الْأَسَدُ مُقَيَّدًا دَلَّتْ هَيْئَتُهُ عَلَى الْهُدُوْءِ ،

فَإِذَا أُفْلِتَ وَ هُيِّجَ انْدَفَعَ مِنْ عَرِيْنِهِ ، وَ هُوَ أَكْثَرُ شَجَاعَةً فِي اللَّيْلِ مِنْهُ فِي النَّهَارِ ، وَ يَمُرُّ بِالْإِنْسَانِ ، وَلاَ يَتَعَرَّضُ لَهُ إِلاَّ إِذَا كَانَ ضَارِياً أَوْ هَاجَهُ إِنْسَانٌ .

وَ يَهْجُمُ عَلَى الْحَيْوَانَاتِ كَالْخَيْلِ وَ الْجِمَالِ وَ الْبَقَرِ وَغَيْرِهَا ، وَ يَصِيْدُ الظَّبْيَ و يَأْكُلُهُ بِرَغْبَةٍ ، وَّ تَدْفَعُهُ الْجَرَاءَةُ إِلَى اخْتِطَافِ الْإِنْسَانِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ .

وَ أُنْثَى الْأَسَدِ تُعْرَفُ بِاللَّبُؤَةِ ، وَهِيَ أَصْغَرُ جُثَّةً ، وَّ أَخَفُّ حَرَكَةً ، وَّ أَشَدُّ غَضَبًا مِّنْهُ، وَ جَرْوُهَا يُعْرَفُ بِالشِّبْلِ ، وَ يَبْدَأُ فِي الْإِفْتِرَاسِ ، وَ يَهْتَمُّ بِقُوَّتِهِ إِذَا بَلَغَ الثَّانِيَةَ مِنْ عُمُرِهِ .

وَ مُعَدَّلُ طُوْلِ الْأَسَدِ ثَلاَثُ أَذْرُعٍ ،وَّعُلُوُّهُ ذِرَاعٌ وَّ رُبْعٌ ، وَمُعَدَّلُ مَا يَعِيْشُ خَمْسٌ وَّعِشْرُوْنَ سَنَةً ، وَقَدْ يَبْلُغُ فِي قَفَصِهِ مِائَةَ سَنَةٍ أَوْ أَكْثَرَ .



⑰ غُرُوْرُ الدُّنْيَا

تَقُوْلُ لَيْسَ الْمَاجِدُ	إِلاَّ الْقَنُوْعُ الزَّاهِدُ
فَمَا أَعَزَّ مَنْ قَنِعْ	وَ مَا أَذَلَّ مَنْ طَمِعْ
دُنْيَاكُمُ حَبِيْبَةْ	بِحُسْنِهَا وَ الطِّيْبَةْ
لٰكِنَّهَا غَدَّارَةْ	خَدَّاعَةٌ غَرَّارَةْ
لَيْسَ لَهَا حَبِيْبٌ	زَوَالُهَا قَرِيْبٌ
مَلُوْلَةٌ خَوَّانَةْ	لَيْسَ لَهَا أَمَانَةْ
تُفَرِّقُ الْأَحْبَابَا	تُشَتِّتُ الْأَتْرَابَا
حَرْبٌ لِّمَنْ سَالَمَهَا	تَمَلُّ مَنْ لَازَمَهَا
عَزِيْزُهَا ذَلِيْلُ	كَثِيْرُهَا قَلِيْلُ
وِصَالُهَا عَنَاءُ	صُدُوْدُهَا بَلَاءُ
يَحْظٰى بِهَا الْجُهَّالُ	وَ يَنْعَمُ الْأَنْذَالُ
يَشْقٰى بِهَا اللَّبِيْبُ	وَ يَتْعَبُ الْأَدِيْبُ

(أبو العتاهية)

١٨ رِسَالَةٌ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم

إِذَا جَاءَكَ قَرِيْبٌ أَوْ صَدِيْقٌ ، وَّ قَالَ : إِنِّيْ مُسَافِرٌ إِلَى الْوَطَنِ ، وَسَأُقَابِلُ أَبَاكَ، فَهَلْ تُوْصِيْ بِشَيْءٍ ؟ وَهَلْ لَكَ رِسَالَةٌ إِلَيْهِ أَحْمِلُهَا مِنْكَ ، وأُبَلِّغُهَا إِلَيْهِ ؟. فَلاَ تَشُكُّ أَنَّهُ سَيَجْتَمِعُ بِأَبِيْكَ ، وَ رُبَّمَا يَسْأَلُ أَبُوْكَ عَنْكَ خَبَرًا سَارًّا ، وَ بُشْرَىٰ صِحَّتِكَ . فَتَقُوْلُ: إِقْرَأْ عَلَىٰ وَالِدِيْ مِنِّيْ السَّلَامَ ، وَ قُلْ لَّهُ : إِنَّ ابْنَكَ بِخَيْرٍ ، وَّ كَمَا تُحِبُّ مِنْ صِحَّةٍ وَّسُرُوْرٍ .

كَذٰلِكَ كَانَ الْمُسْلِمُوْنَ يَعْتَقِدُوْنَ أَنَّ الْمَوْتَ جِسْرٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَ كُلُّ مَنْ عَبَرَ هٰذَا الْجِسْرَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَصَلَ إِلَى الْآخِرَةِ،وَ اجْتَمَعَ هُنَالِكَ بِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ ، وَ تَشَرَّفَ بِزِيَارَتِهِ ، وَ لَابُدَّ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ سَائِلٌ عَنْ أُمَّتِهِ .

وَ يُمْكِنُ أَنْ لَّا يَصِلَ قَرِيْبُكَ أَوْ صَدِيْقُكَ إِلَى الْوَطَنِ لِمَانِعٍ أَوْ حَادِثَةٍ ، أَوْ يَصِلَ إِلَى الْوَطَنِ ، وَ لَايَجْتَمِعَ بِأَبِيْكَ ،وَلٰكِنَّ الْمُسْلِمِيْنَ مَا كَانُوْا يَشُكُّوْنَ فِيْ

وُصُوْلِ الْمَيِّتِ إِلَىٰ عَالَمِ الْآخِرَةِ، وَ اجْتِمَاعَ الشَّهِيْدِ بِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ.

زَحَفَ الْمُسْلِمُوْنَ إِلَى الشَّامِ، وَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَهُمْ «لَتَفْتَحُنَّ كُنُوْزَ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ» وَقَدْ وَعَدَهُمَا اللهُ بِالنَّصْرِ، وَ قَالَ: «وَ إِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْمَنْصُوْرُوْنَ، وَ إِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُوْنَ» وَ كَانُوْا وَاثِقِيْنَ بِالنَّصْرِ وَ الْفَتْحِ، وَ كَذٰلِكَ كَانَ، فَقَدْ فَتَحُوْا مَدِيْنَةً بَعْدَ مَدِيْنَةٍ، وَ هَزَمُوْا جُنْدًا بَعْدَ جُنْدٍ.

وَ جَاءَ رَجُلٌ يَوْمَ الْيَرْمُوْكِ إِلَىٰ أَبِي عُبَيْدَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَائِدِ الْمُسْلِمِيْنَ - فَقَالَ: إِنِّي قَدْ تَهَيَّأْتُ لِأَمْرِي أَيْ لِلشَّهَادَةِ، فَهَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ.

قَالَ أَبُوْ عُبَيْدَةَ: نعم! تُقْرِئُهُ عَنِّي السَّلَامَ، وَتَقُوْلُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ ﷺ! إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا (١).



(١) البداية و النهاية لابن كثير، ص ١٢، ج ٧.

١٩ حَادِثَةٌ

زَارَنَا مَرَّةً ضَيْفٌ كَرِيْمٌ ، وَّ بَاتَ عِنْدَنَا لَيْلَةً ، وَ فِي الصَّبَاحِ قُلْتُ لَهُ : أَتَسْتَحِمُّ يَا سَيِّدِيْ ؟ .

وَ كَانَ يَوْمُ جُمُعَةٍ ، قَالَ: نَعَمْ ! قُلْتُ : هٰذَا مُغْتَسَلٌ، قَالَ: بَلْ أَسْتَحِمُّ فِي النَّهْرِ .

وَ كَانَ الشَّيْخُ يَعْرِفُ السِّبَاحَةَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَّفِقْ لَهُ أَنْ يَسْبَحَ مِنْ مُّدَّةٍ طَوِيْلَةٍ ، وَ سَمِعْتُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَايَنْسَى السِّبَاحَةَ إِذَا تَعَلَّمَهَا ، إِلَّا أَنَّهُ يَتْعَبُ سَرِيْعاً .

وَ كَانَ النَّهْرُ فَائِضًا ، وَّكَانَ يَجْرِيْ بِقُوَّةٍ ، فَخَاضَ الشَّيْخُ النَّهْرَ ، وَبَدَأَ يَسْبَحُ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ كَلَّتْ عَضُدُهُ ، وَخَارَتْ قُوَاهُ وَ أَعْيَا ، وَدَفَعَهُ الْمَاءُ بِقُوَّةٍ ، فَجَعَلَ يَجْرِيْ فِيْ تَيَّارِهِ لَايَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئاً ، وَّ أَيْقَنَ بِالشَّرِّ .

فَجَعَلَ يَصْرَخُ وَ يَسْتَغِيْثُ ، وَ يَقُوْلُ: يَا رَجُلًا ! خُذْ بِيَدِيْ ، وَ جَعَلَ يَذْكُرُ ، وَ يَقُوْلُ : اَللّٰهُ ! اَللّٰهُ ! كَأَنَّهُ فِيْ آخِرِ عَهْدِهِ بِالدُّنْيَا ، وَ جَعَلَ يَغْطِسُ وَ يَطْفُوْ . فَسَقَطَ فِيْ أَيْدِيْنَا . وَ خِفْنَا عَلَيْهِ الْغَرَقَ ، وَ كَانَ

أَحَدُ أَقَارِبِنَا مِمَّنْ يُحْسِنُونَ السِّبَاحَةَ يَغْتَسِلُ فِي النَّهْرِ، فَقُلْنَا: دُونَكَ الْأُسْتَاذَ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِسُرْعَةٍ، وَ لَمَّا رَأَى الشَّيْخُ مُنْجِدًا تَشَجَّعَ قَلِيلًا، وَّ أَرَادَ أَنْ يُّمْسِكَهُ.

وَ لٰكِنْ كَانَ الرَّجُلُ عَاقِلًا مُّجَرَّباً، وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْغَرِيقَ يَرْكَبُ مَنْ يُّنْجِدُ وَ يَأْخُذُ بِتَلَابِيبِهِ، وَ يَغْرَقَانِ جَمِيْعًا، فَلَمْ يُمْهِلْهُ مِنْ نَّفْسِهِ، بَل غَطَسَ وَ دَفَعَهُ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى الشَّاطِئِ، وَلَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ يَجْتَهِدُ أَنْ يُمْسِكَهُ، وَ الرَّجُلُ يَدْفَعُهُ إِلَى الْأَمَامِ حَتّٰى أَوْصَلَهُ إِلَى الشَّاطِئِ.

وَ كَانَ الشَّيْخُ كَالْمُغْمٰى عَلَيْهِ لَايَعْقِلُ شَيْئًا، وَكَانَ عَلَى الشَّاطِئِ رَجُلٌ يَّصِيدُ السَّمَكَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَقَالَ: مُدَّ عُوْدَكَ لِيُمْسِكَهُ الشَّيْخُ، فَمَدَّ الصَّيَّادُ عُوْدَهُ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِهِ عَلٰى رَأْسِهِ، وَهُوَ لَايَشْعُرُ وَ لَايُمْسِكُهُ، وَ بَعْدَ حِيْنٍ أَمْسَكَ بِالْعُوْدِ، وَ وَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ.

وَ كَانَ الشَّيْخُ قَدْ شَرِبَ كَثِيْرًا مِّنَ الْمَاءِ، فَنَكَّسُوْهُ حَتّٰى قَاءَ بِالْمَاءِ وَ أَفَاقَ، وَ رَجَعَ إِلَيْهِ الشُّعُوْرُ وَ الْقُوَّةُ.

وَ كَانَ عَلٰى شَاطِئٍ آخَرَ مِنَ النَّهْرِ، فَصَنَعُوْا لَهُ مَرْكَباً مِّنَ الْجِرَارِ، وَ رَكِبَهُ الشَّيْخُ، وَ أَمْسَكَ بِالْحَبْلِ،

وَ حَوْلَهُ عَـدَدٌ كَبِيْرٌ مِّنْ فُرْسَانِ السِّبَاحَـةِ ، وَأَبْطَالِ الْمَاءِ ، وَ رَجَعَ فِي الْمَوْكِبِ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَ قَدْ ذُعِرَ الْأُسْتَاذُ بِهٰذِهِ الْحَادِثَةِ ، فَكَانَ يُوْصِيْ كُلَّ مَنْ يَزُوْرُ قَرْيَتَنَا أَنْ لَّا يَدْخُلَ النَّهْرَ ، وَ كَانَ يَقُوْلُ : إِذَا أَرَدْتَّ أَنْ تَتَمَتَّعَ بِالدُّنْيَا ، فَإِيَّاكَ وَ النَّهْرَ .

وَ كَانَ الشَّيْخُ لَا يَزَالُ يَعْتِبُ عَلَى الرَّجُلِ أَنَّهُ لَمْ يُنْجِدْهُ ، وَ لَمْ يَمُدَّ إِلَيْهِ يَدَهُ ، وَ لَا يَرَاهُ مَعْذُوْرًا فِيْ هٰذَا الْأَمْرِ .

٢٠ فَتَى الْإِسْلَامِ

هَلْ تَعْرِفُ فِتْيَاناً هُمْ فِي السَّابِعَـةَ عَشْرَةَ ، أَوِ الثَّامِنَـةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِمْ ؟ بَلَّغَكَ اللّٰهُ فَوْقَ هٰذِهِ السِّنِّ وَ عَمَّرَكَ طَوِيْلاً .

اِنَّكَ لَتَعْرِفُ مِنْهُمْ كَثِيْراً ، فَهَلْ تَعْرِفُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ يَأْكُلُوْنَ وَ يَشْرَبُوْنَ ، وَ يَرْتَعُوْنَ وَ يَلْعَبُوْنَ وَيَتَجَمَّلُوْنَ فِي الْمَلَابِسِ ، وَ يَتَأَنَّقُوْنَ فِي الْهِنْدَامِ وَالزِّيْنَةِ .

وَ إِذَا امْتَازَ فِيْهِمْ فَتًى ، وَعَلَتْ هِمَّتُهُ، عَكَفَ عَلَى

دِرَاسَتِهِ وَ مُطَالَعَتِهِ ، وَ جَدَّ فِيهَا وَ اجْتَهَدَ ، حَتَّىٰ بَرَّزَ فِي الْاِخْتِبَارَاتِ ، وَ أَحْرَزَ الْجَوَائِزَ وَ الْوِسَامَاتِ .

وَإِذَا طَمَحَ فِيهِمْ شَابٌّ اجْتَهَدَ لِوَظِيفَةٍ فِي مَصْلَحَةٍ مِّنْ مَصَالِحِ الْحُكُومَةِ فَصَارَ يَتَقَاضَىٰ رَاتِباً شَهْرِيّاً .

ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ ، وَ تِلْكَ أَقْصَىٰ أَمَانِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ .

وَلٰكِنْ لَمَّا كَانَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ ، وَ كَانَتِ الْهِمَمُ عَالِيَةً ، كَانَ الشَّابُّ الْمُسْلِمُ يَطْمَحُ إِلَىٰ إِقَامَةِ الْجِهَادِ ، وَفَتْحِ الْبِلَادِ ، فَيَفْتَحُ قُطْراً أَوْ يُؤَسِّسُ دَوْلَةً أَوْ يَمُوتُ شَهِيداً .

هٰذَا مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمِ الثَّقَفِيُّ قَدْ غَزَا الْهِنْدَ - وَهِيَ بِلَادٌ بَعِيدَةٌ مِّنْ بِلَادِ الْعَرَبِ وَرَاءَ الْبِحَارِ - فَهَزَمَ الْجُنُودَ، وَقَتَلَ الْمُلُوكَ، وَ وَظَّفَ الْخَرَاجَ، وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ، وَفَتَحَ مُحَمَّدُ السِّنْدَ ، وَ تَوَغَّلَ فِي الْهِنْدِ ، حَتّٰى قَطَعَ نَهَرَ بِيَاسَ إِلَى الْمُلْتَانِ ، وَ فَتَحَهَا . وَخَضَعَ أَهْلُ الْهِنْدِ لِمُحَمَّدٍ ، وَأَحَبُّوهُ لِدِينِهِ و كَرَمِهِ وَ عَدْلِهِ، مَعَ أَنَّ الْعَدُوَّ الْقَاهِرَ لَا يُحَبُّ ، وَ صَنَعُوا لَهُ تِمْثَالاً عَلَىٰ عَادَةِ أَهْلِ الْهِنْدِ .

وَ تِلْكَ الْفُتُوحُ الْعَظِيمَةُ كُلُّهَا كَانَتْ فِي مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ جِدًّا.

هٰذَا، وَ فَاتِحُ السِّنْدِ لَمْ يَتَجَاوَزِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ، وَ فِي ذٰلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ:

سَاسَ الرِّجَالَ لِسَبْعَ عَشَرَةَ حِجَّةً

وَ لِدَاتُهُ عَنْ ذَاكَ فِي أَشْغَالِ

٢١ أَلرِّمَايَةُ

سَأَلْتُ أَبِي أَنْ يَّشْتَرِيَ لِي بُنْدُقِيَّةً صَغِيرَةً، لِأَصِيدَ الطُّيُورَ: كَالْيَمَامِ وَ الْحَمَامِ وَ الْغُرَابِ الَّذِي يُؤْذِي كَثِيراً وَّ يَلِغُ فِي الْمَاءِ، وَ أَتَمَرَّنَ عَلَى الرَّمْيِ، فَاشْتَرىٰ لِي بُنْدُقِيَّةً وَ حُقَّةً مِّنَ الرَّشَاشِ

وَ كُنْتُ إِذَا رَجَعْتُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ، أَوْ كَانَ يَوْمُ عُطْلَةٍ أَخَذْتُ الْبُنْدُقِيَّةَ، وَعَدَدًا مِّنَ الرَّشَاشِ، وَ ذَهَبْتُ إِلَى الْبُسْتَانِ أَرْمِي الطُّيُورَ.

وَ فِي الْأَوَّلِ لَا أُصِيبُ طَائِرًا، وَ أُخْطِئُ

كُلَّ مَرَّةٍ ، ثُمَّ صِرْتُ أُصِيْبُ مَرَّةً فِيْ ثَلاثِ طَلَقَاتٍ ، وَأَصِيْبُ بَعْضَ الطُّيُوْرِ ، حَتَّى تَمَرَّنْتُ فِيْ شَهْرَيْنِ ، وَ اشْتَدَّ سَاعِدِيْ .

وَ رَأَيْتُ عِنْدَ رَجُلٍ مِّنَ الْأَغْنِيَاءِ شَيْئاً غَرِيْباً ، كَانَتْ عِنْدَهُ صَفِيْحَةٌ ، وَ كَانَ عَلَى وَجْهِ الصَّفِيْحَةِ مِثْلُ فَلْسٍ ، لَّهُ لَوْنٌ يَّلْمَعُ ، وَ يَظْهَرُ مِنْ بَعِيْدٍ .

وَ كَانَ بِجَانِبِ هٰذَا الْفَلْسِ مِثْلُ جِرَابٍ ، كَانَ يَشْحَنُهُ بِالْبَارُوْدِ ، وَيَسُدُّهُ بِالْقِرْطَاسِ ، وَ كَانَ فِيْ هٰذِهِ الصَّفِيْحَةِ رَسْمٌ مِّنْ حَدِيْدٍ : جُنْدِيٌّ فِيْ لِبَاسِ جُنْدِيٍّ ، فِيْ يَدِهِ قُبَّعَةٌ .

وَ كُنَّا نُبَارِيْ فِي الرَّمْيِ ، وَ نَرْمِيْ هٰذَا الْفَلْسِ بِالرَّشَاشِ ، فَإِذَا أَصَابَ إِنْسَانٌ الْفَلْسَ إِنْطَلَقَ الْمِدْفَعُ ، وَ سَمِعَ النَّاسُ صَوْتَهُ مِنْ بَعِيْدٍ ، وَ انْفَتَحَ الْبَابُ ، وَ خَرَجَ رَجُلٌ مِّنْ حَدِيْدٍ ، فِيْ يَدِهِ عَلامَةٌ يُّشِيْرُ بِهَا إِلَى الْهَدَفِ وَ يُخْبِرُ بِالْإِصَابَةِ .

وَ ظَهَرَ الْجُنْدِيُّ رَافِعاً قُبَّعَتَهُ يُسَلِّمُ عَلَى الْمُصِيْبِ ،

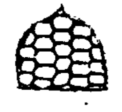
وَ كَأَنَّهُ يُهَنِّئُهُ بِنَجَاحِهِ .

وَإِذَا أَخْطَأَ النَّاسُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ: لَمْ يَنْطَلِقِ الْمِدْفَعُ ، وَلَمْ يَتَحَرَّكِ الْجُنْدِيُّ مِنْ مَّكَانِهِ. وَمِنَ الْغَرِيْبِ أَنِّيْ كُنْتُ أُصِيْبُ الْفَلْسَ فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ دَائِماً ، وَ إِذَا انْطَلَقَ الْمِدْفَعُ سُرِرْتُ سُرُوْرًا عَظِيْماً .

وَبَعْدَ أَشْهُرٍ قَدَرْتُ أَنْ أَسْتَعْمِلَ الْبُنْدُقِيَّةَ الْكَبِيْرَةَ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فِي الصَّيْدِ، وَأَصِيْدُ الْحَمَامَ الْأَخْضَرَ وَالْبَطَّ، وَ أَنْوَاعاً مِّنَ الطُّيُوْرِ .

وَ سَمِعْتُ الْمُعَلِّمَ يَقُوْلُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَثَّ عَلَى الرَّمْيِ كَثِيْرًا ، وَ شَارَكَ فِي الْمُنَاضَلَةِ ، وَ قَالَ : «اِرْمُوْا يَابَنِيْ إِسْمَاعِيلَ! فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا » وَ قَالَ: « أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ » .

فَسُرِرْتُ كَثِيْراً ، وَ عَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِيْ لَمْ يَكُنْ عَبَثاً ، وَ أَنِّيْ لَمْ أُضَيِّعْ وَقْتِيْ .



٢٢ أَلْجَمَلُ

أُنْظُرُوْا إِلَى الْإِبِلِ : كَيْفَ خُلِقَتْ ، تَرَوْهَا لَامَثِيْلَ لَهَا فِي الْخِلْقَةِ، فَإِنَّ الْجَمَلَ أَكْبَرُ الْحَيَوَانِ الدَّاجِنِ جِسْمًا وَّأَطْوَلُهُ سَاقًا ، وَلِذٰلِكَ كَانَتْ رَقَبَتُهُ طَوِيْلَةً ، حَتّٰى يُمْكِنَهُ أَنْ يَرْعَى الْكَلَاءَ مِنَ الْأَرْضِ بِدُوْنِ أَنْ يَبْرُكَ ، وَرَأْسُهُ صَغِيْرٌ لِّيَكُوْنَ خَفِيْفَ الْحَمْلِ عَلٰى رَقَبَتِهِ ، وَأَرْجُلُهُ فِيْهَا أَخْفَافٌ تَمْنَعُ سَوْخَهَا فِي رِمَالِ الصَّحْرَاءِ الَّتِيْ كَثِيْرًا مَّا يَسِيْرُ فِيْهَا ، وَعَلٰى ظَهْرِهِ سَنَامٌ كُلُّهُ شَحْمٌ ، يُرَكَّبُ عَلَيْهِ الْقَتَبُ ، وَ عَيْنَاهُ سَوْدَاوَانِ وَاسِعَتَانِ ، تَشِفَّانِ عَنْ حِلْمٍ وَّ دَعَةٍ ، وَ لَهُ فِيْ وَسْطِ بَطْنِهِ قُرْصٌ غَلِيْظٌ يُّسَمَّى الْكَلْكَلَ ، يَسْتَنِدُ عَلَيْهِ مَتٰى بَرَكَ ، وَلَهُ فِيْ أَرْجُلِهِ قِطَعٌ عَدِيْمَةُ الْحِسِّ فِيْ مَوَاقِعِهَا عَلَى الْأَرْضِ .

وَجَوْفُ الْجَمَلِ عَجِيْبٌ فِيْ تَرْكِيْبِهِ ، لِأَنَّهُ يَحْتَوِيْ عَلٰى جُمْلَةِ كُرُوْشٍ ، يَخْزُنُ فِيْهَا مِقْدَارًا عَظِيْمًا مِّنَ الْغِذَاءِ حَتّٰى إِذَا جَاعَ ، وَلَمْ يَجِدْ أَكْلًا ، أَخْرَجَ مِنْ كَرْشِهِ جِرَّةً ، وَاجْتَرَّهَا ، وَلِذٰلِكَ يُسَمّٰى حَيَوَانًا مُّجْتَرًّا ، وَإِذَا فَرَغَ مَا خَزَنَهُ فِيْ

جَوْفِهِ ، فَإِنَّ شَحْمَ سَنَامِهِ يَتَحَلَّلُ شَيْئًا فَشَيْئًا لِيَغْذُوَهُ، وَيَكْفِيْهِ مُدَّةً طَوِيْلَةً .

وَ لِلْجَمَلِ فِيْ جَوْفِهِ جُمْلَةُ أَزْقَاقٍ تَمْتَلِئُ بِالْمَاءِ عِنْدَمَا يَشْرَبُ ، حَتّٰى إِذَا عَطِشَ فِيْ مَكَانٍ قَفْرٍ لَا مَاءَ فِيْهِ، أَغْنَاهُ مَا خَزِنَهُ عَنِ الشُّرْبِ زَمَنًا طَوِيْلًا .

٢٣ أَلْجَمَلُ

٢

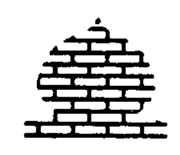
فِيْ عِدَّةِ جِهَاتٍ مِّنَ الدُّنْيَا صَحَارَىٰ قَاحِلَةٌ لَا حَيَوَانَ فِيْهَا ، وَ لَا نَبَاتَ ، أَرْضُهَا رِمَالٌ جَافَّةٌ .

لَا تَرَىٰ فِيْهَا قَطْرَةَ مَاءٍ، يَسْلُكُهَا النَّاسُ اضْطِرَارًا ، فَيَحْمِلُوْنَ زَادَهُمْ : مِنْ مَاءٍ وَّ طَعَامٍ، عَلَىٰ ظُهُوْرِ الْجِمَالِ ، وَيَسِيْرُوْنَ فِيْ تِلْكَ الْقِفَارِ مُجْتَمِعِيْنَ ، وَ إِبِلُهُمْ مُتَتَابِعَةٌ كَالْقِطَارِ ، وَ هِيَ تَسِيْرُ بِهِمْ هَادِئَةً سَاكِنَةً، تَصْبِرُ عَلَى الْجُوْعِ وَ الْعَطَشِ مُعْظَمَ الطَّرِيْقِ ، لِأَنَّهَا قَدْ خَزِنَتْ مُؤْنَتَهَا فِيْ جَوْفِهَا قَبْلَ الرَّحِيْلِ ، وَتَحْمِلُ فَوْقَ ذٰلِكَ مِنَ الْمَتَاجِرِ أَحْمَالًا ثِقَالًا ، لَا تَئِنُّ مِنْهَا وَلَا تَكِلُّ ، فَتَرَى الْجَمَلَ

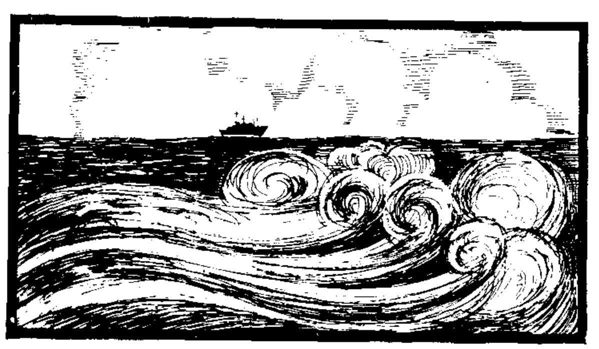
كَأَنَّهُ مَرْكَبٌ يَشُقُّ تِلْكَ الرِّمَالَ الْوَاسِعَةَ ، وَلِذَا سُمِّيَ «سَفِيْنَةَ الصَّحْرَاءِ» . وَإِنَّ ضَلَّ الْمُسَافِرُوْنَ الطَّرِيْقَ فِي الصَّحْرَاءِ يَأْخُذُهُمُ الْقَلَقُ عَلَى حَيَاتِهِمْ ، مَخَافَةَ أَنْ يَنْفَدَ زَادُهُمْ فَيَمُوْتُوْنَ جُوْعاً وَّ عَطَشاً ، وَلٰكِنَّ الْجَمَلَ يُنْقِذُهُمْ أَحْيَاناً مِّنْ تِلْكَ الْأَخْطَارِ ، لِأَنَّهُ يَشُمُّ الْمَاءَ مِنْ بُعْدٍ ، فَيَسِيْرُ نَحْوَهُ بِسُرْعَةٍ غَرِيْبَةٍ ، لِيَسْتَقِيَ صَاحِبُهُ .

وَ الْجَمَلُ سَهْلُ الْقِيَادِ ، لَيِّنُ الطِّبَاعِ ، يَتَحَمَّلُ كَثِيْراً مِّنَ الْأَذَىٰ بِالصَّبْرِ ، وَلٰكِنَّهُ يَثُوْرُ مَتَىٰ بَلَغَ الْأَذَىٰ شِدَّةً عَظِيْمَةً ، فَيَنْتَقِمُ مِمَّنْ آذَاهُ ، وَلَا يَتْرُكُهُ إِلَّا إِذَا ثَأَرَ لِنَفْسِهِ وَ فَتَكَ بِهِ .

وَإِذَا قَوِيَ الْجَمَلُ اشْتَدَّ بَأْسُهُ ، وَعَافَ الْأَكْلَ مَالَمْ يُوْضَعْ فِيْ فَمِهِ ، وَ يَقُوْلُ النَّاسُ عَنْهُ : إِنَّهُ صَائِمٌ ، وَفِيْ هٰذِهِ الْحَالَةِ يُخْرِجُ شِقْشِقَتَهُ مِنْ حَلْقِهِ وَ يُشَقْشِقُ مِنَ الْغَضَبِ .



٢٤ أنَا هُنَا فَاعْرِفُوْنِيْ



مَوْلِدِيْ وَ وَطَنِيْ مَا تُسَمُّوْنَهُ الْبَحْرَ ؛ أَنَا ابْنُ أُمَّةٍ عَظِيْمَةٍ ، قَدِ امْتَدَّتْ عَلٰى مَسَافَةِ آلَافٍ مِّنَ الْأَمْيَالِ ، وَ يَقُوْلُوْنَ : إِنَّ أُمَّتِيْ أَعْظَمُ مِنْ أُمَّةِ الْبَرِّ ؛ فَقَدْ شَغَلْنَا نَحْنُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْكُرَةِ ، وَالْيَابِسُ مِنْهَا نَحْوُ رُبْعٍ .

وَ قَدْ فَارَقْتُ وَطَنِيْ قَبْلَ شَهْرَيْنِ ، لَمَّا اشْتَدَّ الْحَرُّ فِيْ هٰذَا الصَّيْفِ ، تَكَوَّنَ بُخَارٌ : وَفَارَقَ الْبَحْرَ ، وَسَارَتْ بِهِ الرِّيَاحُ إِلَى الْجِبَالِ ، وَهُوَ السَّحَابُ الْمُسَخَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ فَلَمَّا جَاءَهُ الْأَمْرُ مِنَ اللّٰهِ ، تَحَلَّلَ هٰذَا الْبُخَارُ بِالْحَرَارَةِ ، وَنَزَلَ قَطَرَاتٍ قَطَرَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَ

النَّاسُ : أَلْمطَرُ ! أَلْمطَرُ ! وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِيْ

لَعَلَّكُمْ رَأَيْتُمْ قِدْراً عَلَى النَّارِ فِيْهَا مَاءٌ ، فَإِذَا غَلَتِ الْقِدْرُ ، تَصَاعَدَ مِنْهَا مِثْلُ دُخَانٍ ، وَهُوَ الْبُخَارُ ، وَ أَنَا هُنَا ،فَاعْرِفُوْنِيْ .

وَ إِذَا نَزَلَ الْمطَرُ ، وَ جَمدَتْ قَطَرَاتِيْ مِنَ الْبَرْدِ، وَ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَ الزُّجَاجِ ، قَالَ النَّاسُ: أَلْبَرْدُ ! أَلْبَرْدُ ! وَ أَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِيْ .

وَ قَدْ أَسْقُطُ فِي الْجِبَالِ مِثْلَ الصُّوْفِ الْأَبْيَضِ اللَّامِعِ ، وَأَلْمعُ فِي الشَّمْسِ مِثْلَ اللُّجَيْنِ ، فَيَكُوْنُ مَنْظَراً جَمِيْلاً وَّيَقُوْلُ النَّاسُ: أَلثَّلْجُ ! أَلثَّلْجُ ! وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِيْ .

وَقَدْ يَشْتَدُّ الْبَرْدُ فِي الشِّتَاءِ ، فَيَجْمُدُ مَا كَانَ مِنَ الْمَاءِ ، وَيَقُوْلُ النَّاسُ : أَلْجَلِيْدُ ! أَلْجَلِيْدُ ! وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِيْ !

وَ إِذَا هَبَطْتُّ مِنَ الْجِبَالِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَزَاحَمَتْنِيْ صُخُوْرٌ أَوْ أَحْجَارٌ ، كَانَ شَلَّالٌ يَّكُوْنُ لَهُ صَوْتٌ هَائِلٌ وَّمَنْظَرٌ جَمِيْلٌ ، وَّأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِيْ !

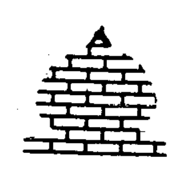
وَإِذَا اجْتَمَعَتْ شَلَّالَاتٌ ، خَرَجَتْ مِنَ الْجِبَالِ ، فَكُنْتُ نَهْرًا ، يَّكُوْنُ فِيْ مَبْدَئِهٖ صَغِيْرًا ، ثُمَّ يَكُوْنُ

عَرِيْضاً عَمِيْقاً، وَقَالَ النَّاسُ : نَهْرُ السِّنْدِ وَ نَهْرُ دِجْلَةَ، وَ الْفُرَاتِ ، وَ النِّيْلِ ، وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِي .

وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَ فِي الصَّبَاحِ أَيَّامَ الشِّتَاءِ مِثْلَ الدُّخَانِ ، وَيُسَمِّيْهِ النَّاسُ الضَّبَابَ ، وأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِي .

وَ لَعَلَّكَ رَأَيْتَ قَطَرَاتٍ عَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ، وَ عَلَى الْعُشْبِ وَ الْأَزْهَارِ ، فِيْ أَيَّامِ الشِّتَاءِ، وَ يُسَمِّيْهَا النَّاسُ الطَّلَّ وَ النَّدَى ، وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِي .

وَقَدْ أَجْمُدُ بِالصِّنَاعَةِ فِي الْمَصَانِعِ ، وَ يَحْرِصُ عَلَيَّ النَّاسُ أَيَّامَ الصَّيْفِ ، فَلَا يَشْرَبُوْنَ الْمَاءَ بِغَيْرِ هٰذَا الْجُمْدِ ، وَلَا يَرْوَوْنَ إِلَّا بِهِ، وَ أَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِي .



٢٥ سَفِينَةٌ عَلَى الْبَرِّ



هَلْ سَمِعْتَ بِسَفِينَةٍ تَسِيرُ عَلَى الْبَرِّ ؟ وَهَلْ تُصَدِّقُ إِذَا أَخْبَرَكَ بِهِ أَحَدٌ ؟ !

أَظُنُّكَ تَقُولُ ـ وَلَكَ الْحَقُّ ـ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . وَلٰكِنَّ مُحَمَّدًا الثَّانِيَ الْعُثْمَانِيَّ فَاتِحَ الْقُسْطُنْطِينِيَّةِ ، سَيَّرَ سَبْعِينَ سَفِينَةً عَلَى الْبَرِّ .

هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟

غَزَا الْعَرَبُ الْقُسْطُنْطِينِيَّةَ الْعُظْمَى سِتَّ مَرَّاتٍ ، وَلَمْ يَفْتَحُوهَا ، وَقَدْ قَدَّرَ اللّٰهُ أَنْ يَكُونَ هٰذَا الْفَتْحُ الْعَظِيمُ

بِيَدِ شَابٍّ مُسْلِمٍ مِّنْ آلِ عُثْمَانَ ، وَ هُوَ فِي الرَّابِعَةِ وَ الْعِشْرِيْنَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .

زَحَفَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْقُسْطُنْطِيْنِيَّةِ ، وَ أَعَدَّ لِذٰلِكَ عُدَّةً عَظِيْمَةً ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ :

« وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ » .

فَكَانَ تَحْتَ قِيَادَتِهِ ثَلَاثُ مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ .

وَّ مَعَهُ مِدْفَعِيَّةٌ هَائِلَةٌ ، فِيْهَا مِدْفَعٌ لَّا يُوْجَدُ فِي أُوْرُبَّا أَضْخَمُ مِنْهُ ، أَعَدَّهُ لِذٰلِكَ ، مَرْمَاهُ أَكْثَرُ مِنْ مِيْلٍ .

وَ كَانَ أُسْطُوْلُهُ مُرَكَّباً مِنْ مِائَةِ سَفِيْنَةٍ حَرْبِيَّةٍ .

وَ كَانَ مُحَمَّدٌ رَّأَىٰ أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ سَلْسَلَ خَلِيْجَ قَرْنِ الذَّهَبِ - وَهُوَ مَدْخَلُ الْقُسْطُنْطِيْنِيَّةِ - بِالسَّلَاسِلِ ، فَكَيْفَ يَعْبُرُهُ بِأُسْطُوْلِهِ ؟

فَكَّرَ مُحَمَّدٌ ، وَ لَمْ يَعْجِزْ وَ لَمْ يَيْأَسْ ، وَ وَجَدَ حِيْلَةً !

رَأَىٰ أَنَّهُ يُمْكِنُ الْعُبُوْرُ إِلَى الْقُسْطُنْطِيْنِيَّةِ مِنْ جِهَةِ قَاسِمِ بَاشَا

وَ لٰكِنَّ هٰذِهِ الْجِهَةَ بَعِيْدَةٌ مِّنْ سُفُنِهِ ، فَمَنْ يَحْمِلُهَا وَ مَنْ يَنْقُلُهَا مِنْ هٰذِهِ الْجِهَةِ إِلَىٰ تِلْكَ الْجِهَةِ ، وَالْمَسَافَةُ بَعِيْـدَةٌ ؟.

فَكَّرَ مُحَمَّدٌ ، وَلَمْ يَعْجِزْ وَلَمْ يَيْأَسْ وَوَجَدَ حِيْلَةً !

طَـلَى الْأَخْشَابَ بِالشَّحْمِ ، فَلَمَّا أَمْلَسَتْ أَزْلَقَ عَلَيْهَا السُّفُنَ ، وَ هِيَ سَبْعُوْنَ سَفِيْنَةً .

وَ مَا رَاعَ أَهْلُ الْقُسْطُنْطِيْنِيَّـةِ ، إِلَّا وَ سُفُنُ الْمُسْلِمِيْنَ قَدْ أَرْسَتْ عَلَىٰ سَاحِلِ الْقُسْطُنْطِيْنِيَّةِ ، وَ سَقَطَ فِيْ أَيْدِيْهِمْ .

وَ هٰكَـذَا أَخَذَ مُحَمَّدٌ الْقُسْطُنْطِيْنِيَّةَ - عَاصِمَةَ الدَّوْلَةِ الْبِيْزَنْطِيَّـةِ - وَ سَقَطَتْ عَاصِمَةُ النَّصْرَانِيَّةِ الْمَنِيْعَةُ أَمَامَ قَائِدٍ مُسْلِمٍ شَابٍّ .

وَلَا تَزَالُ هٰذِهِ الْمَدِيْنَةُ الْعَظِيْمَةُ ، وَ تُرْكِيَا ، فِيْ يَدِ الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ سَنَةِ ٨٥٣هـ - يَوْمَ فَتَحَهَا مُحَمَّـدُ بْنُ مُرَادٍ - إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا .

(وَلِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)

٢٦ أَلْخَلِيْفَةُ عُمَرُبْنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ رحمة الله عليه

١

وُلِدَ عُمَرُبْنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ سَنَةَ ٦١هـ. وَأُمُّهُ أُمُّ عَاصِمٍ بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَبْنِ الْخَطَّابِ، جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَهُوَ صَغِيْرٌ، وَ بَعَثَهُ أَبُوْهُ إِلَى الْمَدِيْنَةِ يَتَأَدَّبُ بِهَا، وَكَانَ يَأْتِيْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ كَثِيْرًا، لِمَكَانِ أُمِّهِ مِنْهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أُمِّهِ، فَيَقُوْلُ: يَا أُمَّهْ! أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ مِثْلَ خَالِيْ.

وَكَانَ عُمَرُبْنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ فِيْ شَبَابِهِ مُتَنَعِّمًا، يُكْثِرُ مِنَ الطِّيْبِ، حَتّٰى تُوْجَدَ رَائِحَتُهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِيْ يَمُرُّ بِهِ، وَيَمْشِيْ مِشْيَةً تُسَمَّى «الْعُمَرِيَّةَ» كَانَ الْجَوَارِيْ يَتَعَلَّمْنَهَا مِنْ حُسْنِهَا، وَلَمْ يَزَلْ عَلٰى هٰذَا التَّنَعُّمِ، حَتّٰى وَلِيَ الْخِلَافَةَ، فَزَهِدَ فِي الدُّنْيَا وَرَفَضَهَا.

وَكَانَ فِيْ شَبَابِهِ، وَوِلَايَتِهِ لِلْمَدِيْنَةِ، كَثِيْرَ التَّعْظِيْمِ لِلْعُلَمَاءِ، شَدِيْدَ الْإِعْظَامِ لِمَسْجِدِ الرَّسُوْلِ ﷺ، خَاشِعًا مُتَدَيِّنًا.

وَ عَهِدَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَعُمَرُ لَا يَعْلَمُ، فَلَمَّا عَلِمَ فَزِعَ.

وَقَالَ: وَاللهِ إِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ مَا سَأَلْتُ اللهَ قَطُّ، وَ قَدَّمَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمَرَاكِبِ مَرْكَبَ الْخَلِيْفَةِ فَأَبَىٰ وَ قَالَ: إِيْتُوْنِيْ بِبَغْلَتِيْ، وَرَدَّ الْمَرَاكِبَ، وَ السُّرَادِقَاتِ وَالْفُرُشَ، وَالْأَدْهَانَ، وَ الثِّيَابَ الْخَاصَّةَ بِالْخَلِيْفَةِ، إِلَىٰ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِيْنَ.

وَ جَلَسَ لِلنَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثٍ، وَ حَمَلَهُمْ عَلَى الشَّرِيْعَةِ، وَرَدَّ الْمَظَالِمَ، وَأَحْيَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَسَارَ بِالْعَدْلِ، وَرَفَضَ الدُّنْيَا، وَزَهِدَ فِيْهَا، وَنَهَىٰ عَنِ الْقِيَامِ، وَابْتَدَأَ بِالسَّلَامِ، وَتَرَكَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، وَتَرَكَ أَنْ يُخْدَمَ.

كَانَ عِنْدَهُ قَوْمٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَامَ إِلَى السِّرَاجِ فَأَصْلَحَهُ، فَقِيْلَ لَهُ: يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ نَكْفِيْكَ، قَالَ: وَمَا ضَرَّنِيْ؟ قُمْتُ وَ أَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ، وَ رَجَعْتُ وَ أَنَا عُمَرُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ.

وَأُتِيَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْفَيْءِ بِعَنْبَرَةٍ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَمَسَحَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُفِعَتْ حَتّٰى تُبَاعَ، ثُمَّ أَمَرَّ يَدَهُ عَلَىٰ أَنْفِهِ، فَوَجَدَ رِيْحَهَا، فَدَعَا بِوَضُوْءٍ فَتَوَضَّأَ.

وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ يَأْتِيهِ بِقُمْقُمٍ مِّنْ مَاءٍ مُّسَخَّنٍ يَتَوَضَّأُ مِنْـهُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ يَوْماً: أَتُسَخِّنُ الْمَاءَ فِي مَطْبَخِ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: أَفْسَدْتَّهُ عَلَيْنَا، ثُمَّ حَاسَبَ تِلْكَ الْأَيَّامَ، وَأَدْخَلَ الْحَطَبَ فِي الْمَطْبَخِ، وَ أَبْطَأَ يَوْماً عَنِ الْجُمُعَةِ قَلِيلاً فَعُوقِبَ فِي ذٰلِكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا انْتَظَرْتُ قَمِيصِي غَسَلْتُـهُ أَنْ يَجِفَّ.

قَالَ أَزْهَرُ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ مَّرْقُوعٌ.

٢٧ اَلْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

—(٢)—

وَ لَمْ يُحْدِثْ عُمَرُ مُنْذُ وَلِيَ دَابَّةً وَّ لَا امْرَأَةً وَّ لَا جَارِيَةً حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ، وَلَمْ يُرَ ضَاحِكاً مُّنْذُ وَلِيَ الْخِلَافَةَ حَتَّى لَقِيَ اللهَ.

وَأَتَتْهُ سَلَّتَا رُطَبٍ مِّنَ الْأُرْدُنِّ، فَقَالَ: مَا هٰذَا؟ قَالُوا: رُطَبٌ مِّنَ الْأُرْدُنِّ، قَالَ: عَلَامَ جِيْءَ بِهِ؟ قَالُوا: عَلَى دَوَابِّ الْبَرِيدِ، قَالَ: فَمَا جَعَلَنِيَ اللهُ أَحَقَّ بِدَوَابِّ

الْبَرِيْدِ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ، أَخْرِجُوْهُمَا فَبِيعُوْهُمَا ، وَ اجْعَلُوْا ثَمَنَهُمَا فِي عَلَفِ دَوَابِّ الْبَرِيْدِ ، وَ اشْتَرَاهُمَا فِي السُّوْقِ ابْنُ أَخِيْهِ وَ أَهْدَىٰ إِحْدَاهُمَا إِلَيهِ ، فَأَكَلَ وَ قَالَ : أَلْآنَ طَابَ أَكْلُهُ.

وَ دَخَلَ عَلَىٰ بَنَاتِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِنَّ ، فَقَالَ لِلْحَاضِنَةِ : مَا شَأْنُهُنَّ ؟ قَالَتْ : لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُنَّ شَيْءٌ يَتَعَشَّيْنَهُ إِلَّا عَدَسٌ وَّ بَصَلٌ ، فَكَرِهْنَ أَنْ تَشُمَّ ذٰلِكَ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ ، فَبَكَىٰ عُمَرُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُنَّ : يَا بَنَاتِيْ مَا يَنْفَعُكُنَّ أَنْ تَعَشَّيْنَ الْأَلْوَانَ وَ يُمَرُّ بِأَبِيْكُنَّ إِلَى النَّارِ ، فَبَكَيْنَ حَتّٰى عَلَتْ أَصْوَاتُهُنَّ ، وَ وَضَعَ عُمَرُ حُلَىٰ زَوْجَتِهِ فِيْ بَيْتِ الْمَالِ ، وَ أَرْجَعَ مَزَارِعَهُ إِلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِيْ عَهْدِ الرَّسُوْلِ ﷺ.

وَ إِذَا كَانَ فِيْ حَوَائِجِ الْعَامَّةِ كَتَبَ عَلَى الشَّمْعِ ، وَ إِذَا صَارَ إِلَىٰ حَاجَةِ نَفْسِهِ دَعَا بِسِرَاجِهِ .

وَقَدْ أَغْنَىٰ عُمَرُ بْنُ عَبْدِالْعَزِيْزِ النَّاسَ ، حَتّٰى لَمْ يُوْجَدْ فَقِيْرٌ فِيْ بِلَادِ الْمُسْلِمِيْنَ ، وَلَمْ يُوْجَدْ أَحَدٌ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ .

وَكَانَ لَا يُؤَخِّرُ عَمَلَ الْيَوْمِ لِلْغَدِ ، وَلَا يَعْجَزُ ، قَالَ

بَعضُ إِخْوَتِهِ: يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَوْ رَكِبْتَ فَتَرَوَّحْتَ، قَالَ: فَمَنْ يَقْضِيْ شُغْلَ ذٰلِكَ الْيَوْمَ؟ قَالَ: تَقْضِيْهِ مِنَ الْغَدِ، قَالَ: لَقَدْ ثَقُلَ عَمَلُ يَوْمٍ وَّاحِدٍ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَ عَمَلُ يَوْمَيْنِ؟

مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ سَنَةَ ١٠١ھ

(٢٨) فِيْ بَيْتِ أَبِيْ أَيُّوْبَ الْأَنْصَارِيِّ رضی اللہ عنہ

قَالَ سَيِّدُنَا أَبُوْ أَيُّوْب رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ:

"لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ فِيْ بَيْتِيْ نَزَلَ فِي السُّفْلِ، وَ أَنَا وَ أُمُّ أَيُّوْبَ فِي الْعُلُوِّ، فَقُلْتُ لَهُ: يَانَبِيَّ اللّٰهِ! بِأَبِيْ أَنْتَ وَأُمِّيْ! إِنِّيْ لَأَكْرَهُ وَأُعْظِمُ أَنْ أَكُوْنَ فَوْقَكَ وَ تَكُوْنَ تَحْتِيْ، فَاظْهَرْ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلُوِّ، وَ نَنْزِلُ نَحْنُ فَنَكُوْنَ فِي السُّفْلِ، فَقَالَ: يَا أَبَا أَيُّوْبَ! إِنَّ أَرْفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا أَنْ نَكُوْنَ فِيْ سُفْلِ الْبَيْتِ.

قَالَ: فَكَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ — ﷺ — فِيْ سُفْلِهِ وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ، فَلَقَدِ انْكَسَرَ حُبٌّ لَّنَا فِيْهِ مَاءٌ، فَقُمْتُ

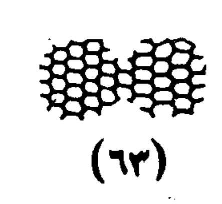
أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا ، مَالَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا ، نُنَشِّفُ بِهَا الْمَاءَ تَخَوُّفاً أَنْ يَقْطُرَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيَهُ.

قَالَ : وَكُنَّا نَصْنَعُ لَهُ الْعَشَاءَ ، ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ ، فَإِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضْلَهُ تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذٰلِكَ الْبَرَكَةَ حَتَّىٰ بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً بِعَشَائِهِ ، وَ قَدْ جَعَلْنَا لَهُ فِيهِ بَصَلاً أَوْ ثُوماً ، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَلَمْ أَرَ لِيَدِهِ فِيهِ أَثَراً ، قَالَ : فَجِئْتُهُ فَزِعًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، رَدَدْتَ عَشَاءَكَ ، وَ لَمْ أَرَ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ ، وَ كُنْتَ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ ، نَبْتَغِي بِذٰلِكَ الْبَرَكَةَ.

قَالَ : إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَ أَنَا رَجُلٌ أُنَاجِي ، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ.

قَالَ : فَأَكَلْنَاهُ ، وَ لَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بَعْدُ.

(سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ)



٢٩ أَلْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

وُلِدَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَّ تِسْعِيْنَ فِي الْمَدِيْنَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَ سَمِعَ الزُّهْرِيَّ وَ نَافِعًا مَّوْلَى ابْنِ عُمَرَ ، وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ رَبِيْعَةَ الرَّأْيِ ، وَقَالَ : قَلَّ رَجُلٌ كُنْتُ أَتَعَلَّمُ مِنْهُ مَامَاتَ حَتّٰى يَجِيْئَنِيْ وَ يَسْتَفْتِيَنِيْ .

وَكَانَ لَهُ شَأْنٌ عَظِيْمٌ فِي الْعِلْمِ يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ ، وَ يَزْدَحِمُوْنَ عَلٰى بَابِهٖ لِأَخْذِ الْحَدِيْثِ وَ الْفِقْهِ كَازْدِحَامِهِمْ عَلٰى بَابِ السُّلْطَانِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَفْتَخِرُوْنَ بِالرِّوَايَةِ عَنْهُ ، وَكَانَ ذٰلِكَ شَرَفًا كَبِيْرًا فِيْ عَصْرِهٖ ، فَإِذَا قَالَ أَحَدٌ : حَدَّثَنِيْ مَالِكٌ ، رَفَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ .

وَكَانَ إِلَيْهِ الْمُنْتَهٰى فِي الْفِقْهِ وَ الْفَتْوٰى . قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : سَمِعْتُ مُنَادِيًا يُّنَادِيْ بِالْمَدِيْنَةِ : أَلَا ، لَا يُفْتِي النَّاسَ إِلَّا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، وَّابْنُ أَبِيْ ذِئْبٍ ، وَمِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ : لَا يُفْتٰى وَ مَالِكٌ فِي الْمَدِيْنَةِ .

وَكَانَ كَثِيْرَ الْأَدَبِ ، شَدِيْدَ التَّعْظِيْمِ لِحَدِيْثِ رَسُوْلِ

اللهِ ﷺ ، إِذا أَرادَ أَنْ يُحَدِّثَ اغْتَسَلَ وَ تَطيَّبَ وَلَبِسَ ثياباً جُدُداً ، وَ تَعَمَّمَ وَقَعَدَ بِخُشُوْعٍ وَّخُضُوْعٍ وَّوَقارٍ ، وَتَبَخَّرَ بِالْعُوْدِ مِنْ أَوَّلِهِ فَلاَ يَزالُ يَتَبَخَّرُ إِلىٰ فَراغِهِ ، وَقِيْلَ لَهُ فِيْ ذٰلِكَ ، فَقالَ : أُحِبُّ أَنْ أُعَظِّمَ حَدِيْثَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ، وَلاَأُحَدِّثَ بِهِ إِلاَّمُتَمَكِّناً عَلىٰ طَهارَةٍ ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُحَدِّثَ عَلَى الطَّرِيْقِ ، أَوْ مُسْتَعْجِلاً ، وَيَقُوْلُ : أُحِبُّ أَنْ أَتَفَهَّمَ مَا أُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَّسُوْلِ اللهِ ﷺ .

قَالَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ مُبارَكٍ : كُنْتُ عِنْدَ مَالِكٍ ، وَّهُوَ يُحَدِّثُنَا ، فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ سِتَّ عَشَرَةَ مَرَّةً ، وَمَالِكٌ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ ، وَلاَ يَقْطَعُ الْحَدِيْثَ ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ قَالَ : إِنَّمَا صَبَرْتُ إِجْلاَلاً لِّلْحَدِيْثِ .

وَكَانَ لاَيَرْكَبُ فِي الْمَدِيْنَةِ عَلىٰ ضُعْفِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ ، وَ يَقُوْلُ : لاَ أَرْكَبُ فِيْ مَدِيْنَةٍ فِيْهَا جُثَّةُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مَدْفُوْنَةٌ .

وَكَانَ مَجْلِسُهُ مَجْلِسَ وَقَارٍ وَّحِلْمٍ ، وَّكَانَ رَجُلاً مَهِيْبًا نَّبِيْلاً ، لَيْسَ فِيْ مَجْلِسِهِ شَيْءٌ مِّنَ الْمِرَاءِ وَاللَّغَطِ ،

وَ لَارَفْعُ صَوْتٍ ، وَكَانَ الْغُرَبَاءُ يَسْأَلُوْنَهُ عَنِ الْحَدِيْثِ فَلَا يُجِيْبُ إِلَّا فِي الْحَدِيْثِ بَعْدَ الْحَدِيْثِ .

سَأَلَ هَارُوْنُ الرَّشِيْدُ مَالِكًا أَنْ يَأْتِيَ فَأَبَى ، فَأَتَى هَارُوْنُ مَالِكًا ، وَّهُوَ فِيْ مَنْزِلِهِ ، وَمَعَهُ بَنُوْهُ ، وَسَأَلَ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَاقَرَأْتُ عَلَىٰ أَحَدٍ مُّنْذُ زَمَانٍ ، وَإِنَّمَا يُقْرَأُ عَلَيَّ ، فَقَالَ هَارُوْنُ : أَخْرِجِ النَّاسَ حَتَّىٰ أَقْرَأَ أَنَا عَلَيْكَ ، فَقَالَ : إِذَا مُنِعَ الْعَامُّ لِبَعْضِ الْخَاصِّ لَمْ يَنْتَفِعِ الْخَاصُّ .

وَدَخَلَ مَالِكٌ عَلَىٰ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ مَنْصُوْرٍ ، وَهُوَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ إِذْ جَاءَ صَبِيٌّ يَخْرُجُ ثُمَّ يَرْجِعُ ، فَقَالَ لِيْ : أَتَدْرِيْ مَنْ هٰذَا ؟ فَقُلْتُ : لَا ، قَالَ : اِبْنِيْ ، وَإِنَّمَا يَفْزَعُ مِنْ هَيْبَتِكَ .

وَفِيْ سَنَةِ سَبْعٍ وَّ أَرْبَعِيْنَ وَ مِائَةٍ ضُرِبَ مَالِكٌ سَبْعِيْنَ سَوْطًا لِّأَجْلِ فَتْوًى لَّمْ تُوَافِقْ غَرَضَ السُّلْطَانِ ، فَغَضِبَ وَدَعَا بِهِ ، وَجَرَّدَهُ وَضَرَبَهُ بِالسِّيَاطِ ، وَمُدَّتْ يَدُهُ حَتَّى انْخَلَعَتْ كَتِفُهُ ، فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذٰلِكَ الضَّرْبِ فِيْ عُلُوٍّ وَّ رِفْعَةٍ ، وَكَأَنَّمَا كَانَتْ تِلْكَ السِّيَاطُ حَلْيًا حُلِّيَ بِهِ .

وَ كِتَابُهُ الْمُوَطَّأُ مِنْ أَشْهَرِ كُتُبِ الْحَدِيْثِ ، وَمِنَ

الْكُتُبِ الْمَقْبُوْلَةِ فِي الْاِسْلَامِ ، رَزَقَكَ اللّٰهُ قِرَاءَتَهُ ، وَ الِانْتِفَاعَ بِهِ ، وَسَيَكُوْنُ ذٰلِكَ (إِنْ شَاءَ اللّٰهُ) فِيْ بِضْعِ سِنِيْنَ إِذَا تَقَدَّمْتَ فِي الْعِلْمِ .

تُوُفِّيَ مَالِكٌ سَنَةَ تِسْعٍ وَّسَبْعِيْنَ وَمِائَةٍ .

٣٠ أَلْقَاطِرَةُ

—(١)—



ذَهَبَ رَشِيْدٌ مَّعَ أَبِيْهِ سَعِيْدٍ إِلَى الْمَحَطَّةِ يَسْتَقْبِلُ أَخَاهُ مَحْمُوْداً ، وَكَانَ قَادِماً مِّنْ دِيُوْبَنْد فِيْ مُسَامَحَةِ عِيْدِ الْأَضْحٰى .

وَكَانَ الْقِطَارُ مُتَأَخِّرًا ، فَأَخَذَ سَعِيْدٌ يَتَجَوَّلُ عَلَى الْمَحطَةِ يُحَدِّثُ رَشِيْدًا عَنِ الْقِطَارِ وَنِظَامِ الْمَحَطَّةِ، وَانْتَقَلَ مَعَهُ إِلَى رَصِيْفٍ آخَرَ .

وَكَانَ قِطَارٌ وَاقِفًا هُنَا تَصْفِرُ قَاطِرَتُهُ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا بُخَارٌ كَثِيْفٌ مُتَصَاعِدٌ

قَالَ رَشِيْدٌ : حَدِّثْنِي الْيَوْمَ يَاأَبِيْ! عَنِ الْقَاطِرَةِ كَيْفَ تَجُرُّ الْقِطَارَ ، وَكَيْفَ تُسْرِعُ فِي السَّيْرِ ؟

قَالَ سَعِيْدٌ : لَقَدْ سَأَلْتَ بِهِ خَبِيْرًا فَقَدْ كُنْتُ مُوَظَّفًا فِي الْقِطَارِ ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْهَا فِيْ تَفْصِيْلٍ ، فَقُمْ بِجَانِبِيْ أَمَامَ هٰذِهِ الْقَاطِرَةِ وَلاَحِظْهَا .

أُنْظُرْ يَارَشِيْدُ! إِلَى الْقَاطِرَةِ تَرَهَا صُنِعَتْ مِنَ الْحَدِيْدِ، وَلَهَاسِتُّ عَجَلاَتٍ تَسِيْرُ عَلَيْهَاوَهِيَ قَوِيَّةٌ جِدًّا كَأَنَّهَا عِفْرِيْتٌ مِّنَ الْجِنِّ، تَجُرُّ قِطَارَ الْبِضَاعَةِ، وَهُوَ طَوِيْلٌ وَّثَقِيْلٌ جِدًّا، وَتَجُرُ قِطَارَ الرُّكَّابِ وَفِيْهِ النَّاسُ وَ أَثْقَالُهُمْ ، وَتَجُرُّ الْقِطَارَ السَّبَّاقَ ، وَهُوَ أَسْرَعُ الْقُطُرِ يَقْطَعُ خَمْسَةً وَّ أَرْبَعِيْنَ مِيْلاً فِي السَّاعَةِ .

وَ الْقِطَارُ السَّرِيْعُ يَقْطَعُ نَحْوَ أَرْبَعِيْنَ مِيْلاً فِي

السَّاعَةِ ، وَ الْقِطَارُ الْوَقَّافُ يَقْطَعُ نَحْوَ ثَلاثِيْنَ مِيْلاً فِي السَّاعَةِ ، تَجُرُّ الْقِطَارَ مِنْ أَقْصَى الْهِنْدِ إِلَى أَقْصَاهَا ، مَثَلاً مِنْ بَمْبَئِيْ إِلَى بِشَاوَرَ ، وَمِنْ دِهْلِيْ إِلَى مَدْرَاسَ .

وَقُوَّةُ هٰذِهِ الْقَاطِرَةِ إِنَّمَا هِيَ الْبُخَارُ الْحَقِيْرُ الَّذِيْ لَاتَعْبَأُ بِهِ ،وَلَا تُحَاسِبُ لَهُ حِسَاباً ، وَقَدِ اهْتَدَى "اسْتِيفنسن" مُخْتَرِعُ الْقِطَارِ إِلَى قُوَّةِ هٰذَا الْبُخَارِ ، وَاهْتَدَى إِلَى تَسْخِيْرِهِ وَ الْاِنْتِفَاعِ بِهِ فِي الْأَغْرَاضِ ، وَعَلِمَ بِعَقْلِهِ وَدِرَاسَتِهِ أَنَّهُ بِقُوَّتِهِ يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ ،وَيَنْقُلُ الْجِبَالَ ،وَيأتِيْ بِالْعَجَائِبِ .

وَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْجَاهِلِ وَ الْعَالِمِ، وَ بَيْنَ الْعَامِيِّ وَ الْمُكْتَشِفِ ، يَرَى الْأَوَّلُ كُلَّ شَيْءٍ فَلَا يَرْفَعُ بِهِ رَأْسًا ، وَلَا يُلْقِيْ عَلَيْهِ بَالاً ، وَيَرَاهُ الثَّانِيْ فَيَعْرِفُ قِيْمَتَهُ وَيَجْتَهِدُ فِيْهِ ، حَتّٰى يُسَخِّرَهُ لِغَرَضِهِ .

(٣١) اَلْقَاطِرَةُ

(٢)

اُنْظُرْ يَا رَشِيْدُ ! إِلَى هٰذَا الْمَوْقِدِ فِي الْقَاطِرَةِ ، يُلْقِيْ فِيْهِ الرَّجُلُ الْفَحْمَ الْحَجَرِيَّ ، وَفَوْقَ هٰذَا الْمَوْقِدِ حَوْضٌ مِنْ مَاءٍ مَتِيْنٌ جِدًّا وَفِيْهِ أَنَابِيْبُ عَدِيْدَةٌ يَسْخَنُ هٰذَا الْمَاءُ

بِالنَّارِ وَ يَتَحَوَّلُ بُخَارًا ، وَيَنْتَقِلُ هٰذَا الْبُخَارُ إِلَى الْأَنَابِيْبِ

وَتَعَالَ مَعِيَ نَدْخُلْ فِي الْقَاطِرَةِ ، فَإِنَّ سَائِقَهَا مِنْ أَصْدِقَائِيْ . وَهُنَا تَفْهَمُ تَرْكِيْبَ الْقَاطِرَةِ جَيِّدًا .

أُنْظُرْ إِلَى الْأَنَابِيْبِ ، إِنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بِهٰذِهِ الْآلَاتِ الدَّقِيْقَةِ الَّتِيْ تُدِيْرُ عَجَلَاتِ الْقَاطِرَةِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ هٰذَا الْبُخَارُ فِي الْأَنَابِيْبِ دَفَعَ بِقُوَّتِهِ الْآلَاتِ ، فَأَدَارَهَا وَ بِدَوَرَانِهَا تَدُوْرُ الْعَجَلَاتُ ، وَتَسِيْرُ الْقَاطِرَةُ .

وَهٰذَا هُوَ الْوَقَّادُ الَّذِيْ يُرَاقِبُ النَّارَ وَ الْمَاءَ ، وَيُشْرِفُ عَلَيْهِمَا . وَهٰذَا صَدِيْقُنَا السَّائِقُ ، وَإِذَا كَانَتِ الْقَاطِرَةُ تَجُرُّ الْقِطَارَ ، وَ تُوْصِلُ الرُّكَّابَ مِنْ دِيَارٍ إِلَى دِيَارٍ، فَصَاحِبُنَا يَسُوْقُ الْقَاطِرَةَ ، فَهُوَ مِفْتَاحُ الْقِطَارِ ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْفَضْلُ فِيْ سَيْرِ الْقِطَارِ وَهُوَ يَسْهَرُ عَلَى عَمَلِهِ ، وَيَقُوْمُ بِوَاجِبِهِ بِأَمَانَةٍ وَّجِدٍّ ، وَكَذٰلِكَ أَمِيْنُ الْقِطَارِ يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ مِنَ الرُّكَّابِ ، فَإِنَّهُ يُلَاحِظُ الطَّرِيْقَ وَيَلْحَظُ وُقُوْفَ الْقِطَارِ وَسَيْرَهُ ، وَ السَّائِقُ وَ الْقَاطِرَةُ طَوْعُ إِشَارَتِهِ ، فَإِذَا هَزَّ الْبَيْرَقَ الْأَحْمَرَ وَقَفَ الْقِطَارُ ، وَإِذَا هَزَّ الْبَيْرَقَ الْأَخْضَرَ تَحَرَّكَ الْقِطَارُ .

وَانْظُرْ إِلَىٰ هٰذِهِ الْآلَةِ الَّتِيْ فِيْ يَدِ السَّائِقِ هٰذِهِ ... فَإِذَا رَفَعَهَا السَّائِقُ إِلَىٰ فَوْقُ، انْدَفَعَ الْبُخَارُ وَسَارَتِ الْقَاطِرَةُ، وَإِذَا ضَغَطَ عَلَيْهَا سَكَنَ الْبُخَارُ وَهَدَأَتِ الْقَاطِرَةُ، حِيْنَئِذٍ يَضْغَطُ السَّائِقُ عَلىٰ آلَةٍ أُخْرىٰ، وَهِيَ هٰذِهِ وَتُسَمَّى الْمِصَدَّ، وَتَقِفُ الْقَاطِرَةُ مِنْ سَاعَتِهَا، وَ الْعَرَبَاتُ كُلُّهَا مُرَكَّبَةٌ بِالْقَاطِرَةِ تَسِيْرُ بِسَيْرِهَا، وَتَقِفُ بِوُقُوْفِهَا.

وَهٰذَا هُوَ الْخَطُّ الْحَدِيْدِيُّ الَّذِيْ يَسِيْرُ عَلَيْهِ الْقِطَارُ، وَ لَوْلَاهُوَ لَغَاصَ الْقِطَارُ فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّ التُّرْبَةَ لَاتَحْمِلُ ثِقْلَ الْقِطَارِ.

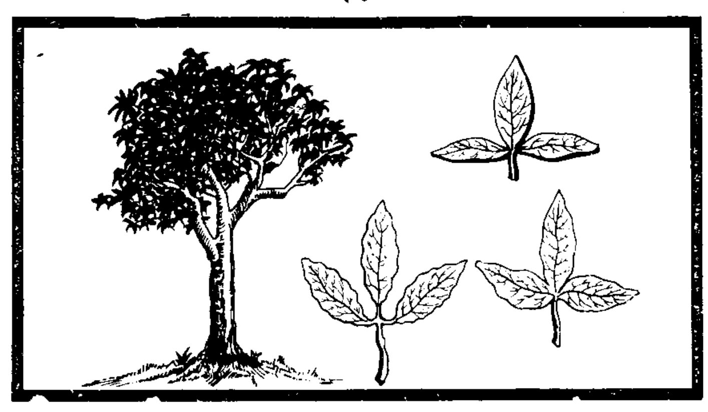
هٰذِهِ هِيَ الْقَاطِرَةُ الَّتِيْ تَجُرُّ الْقِطَارَ، وَهٰذَاهُوَ الْقِطَارُ الَّذِيْ يُوْصِلُ الرُّكَّابَ مِنْ دِيَارٍ إِلَىٰ دِيَارٍ، وَيَحْمِلُ أَثْقَالَ النَّاسِ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ يَكُوْنُوْا بَالِغِيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ

أُنْظُرْ يَارَشِيْدُ! كَيْفَ أَلْهَمَ اللّٰهُ الْإِنْسَانَ الْحِكْمَةَ وَ الصِّنَاعَةَ، وَ رَزَقَهُ الْعَقْلَ الَّذِيْ يُسَخِّرُ بِهِ الْحَدِيْدَ وَالْبُخَارَ. أَفَلَا يَحِقُّ لَكَ أَنْ تَقُوْلَ إِذَا رَكِبْتَ الْقِطَارَ:

« سُبْحَانَ الَّذِيْ سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِيْنَ، وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُوْنَ ».

⑶٢ جِسْمُ النَّبَاتِ

—(١)—



كَانَ أَمَامَ بَيْتِ عَبَّاسٍ حَدِيْقَةٌ فِيْهَا أَنْوَاعُ الشَّجَرِ وَ النَّبَاتِ ، قَالَ لَهُ أَبُوْهُ عُمَرُ مَرَّةً فِيْ يَوْمِ عُطْلَةٍ : هَلْ رَأَيْتَ يَا عَبَّاسُ ! حَدِيْقَةَ الدَّارِ ؟ .

قَالَ عَبَّاسُ : كَيْفَ لَا يَا أَبِيْ ! وَهِيَ حَدِيْقَةُ دَارِنَا ، أَلْعَبُ فِيْهَا كُلَّ يَوْمٍ وَأَتَرَدَّدُ إِلَيْهَا صَبَاحَ مَسَاءَ .

قَالَ عُمَرُ : مَا أَظُنُّكَ رَأَيْتَهَا ! فَتَعَالَ مَعِيَ نَتَمَشَّ فِي الْحَدِيْقَةِ وَنَدْرُسَ النَّبَاتَ ، فَإِنَّهُ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللّٰهِ ، وَكِتَابٌ يَجِبُ أَنْ تُطَالِعَهُ .

خَرَجَ عُمَرُ وَ عَبَّاسُ إِلَى الْحَدِيْقَةِ ، فَرَأَى عَبَّاسُ

الْبُسْتَانِيَّ يُصْلِحُ قِطْعَةً مِّنَ الْأَرْضِ ، وَ يُنَحِّي الْحَجَرَ وَالْخَزَفَ، وَيَقْلَعُ الْحَشَائِشَ وَالْأَعْشَابَ ، فَسَأَلَ عَبَّاسٌ أَبَاهُ عَنْ ذٰلِكَ .

قَالَ عُمَرُ : اَلرَّجُلُ يُصْلِحُ الْأَرْضَ وَيُهَيِّئُهَا لِغَرْسِ الْأَشْجَارِ، فَإِذَا بَقِيَتِ الْأَحْجَارُ وَ الْخَزَفُ لَمْ يَثْبُتِ الْفَسِيْلُ فِي الْأَرْضِ ، وَلَمْ تَمْتَدَّ جُذُوْرُهُ فِيْ بَاطِنِ الْأَرْضِ ، وَ إِذَا تُرِكَتْ هٰذِهِ الْحَشَائِشُ الشَّيْطَانِيَّةُ امْتَصَّتْ غِذَاءَ الْفَسِيْلِ وَذَوَى الْفَسِيْلُ، وَالْبُسْتَانِيُّ النَّاصِحُ الْمُجْتَهِدُ يَحْرُثُ الْأَرْضَ كَمَا يَحْرُثُ الْفَلَّاحُ الْحَقْلَ ، وَيُلْقِيْ فِيْهَا السَّمَادَ وَ يَسْقِيْهَا كُلَّ يَوْمٍ ، حَتّٰى تُصْبِحَ الْأَرْضُ رِخْوَةً كَرِيْمَةً ، تَقْبَلُ كُلَّ مَا يُلْقٰى فِيْهَا .

ثُمَّ يَغْرِسُ الْفَسَائِلَ فِيْ مَكَانٍ تَصِلُ إِلَيْهِ الشَّمْسُ كُلَّ يَوْمٍ .

هُنَا قَاطَعَهُ عَبَّاسٌ وَقَالَ : وَهَلْ يَحْتَاجُ النَّبَاتُ أَيْضاً إِلَى الشَّمْسِ ؟

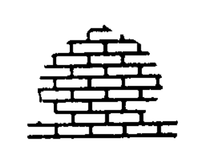
قَالَ عُمَرُ : نَعَمْ ! يَاعَبَّاسُ !فَالنَّبَاتُ جِسْمٌ حَيٌّ نَامٍ يَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .

وَ اسْتَمَرَّ عُمَرُ فِى حَدِيْثِهِ « ثُمَّ يَغْرِسُ الْفَسَائِلَ فِى صَفٍّ وَّ يَتْرُكُ بَيْنَ فَسِيْلَيْنِ فُسْحَةً يُمْكِنُ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَمْتَدَّ فِيْهَا ، وَلاَ يُضَايِقَ بَعْضُهَا بَعْضاً .

وَيَحْسُنُ أَنْ تَكُوْنَ الْفَسَائِلُ أَتْرَاباً فِى سِنٍّ وَاحِدَةٍ ، وَ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ أَزْهَارٍ فَلِأَزْهَارِهَا مِيْعَادٌ وَّاحِدٌ ، لِيَتِمَّ جَمَالُ كُلِّ صَفٍّ مِّنْ صُفُوْفِهَا .

وَلاَ يَسْتَرِيْحُ الْبُسْتَانِيُّ بَعْدَ ذٰلِكَ ، بَلْ يَسْهَرُ عَلَى هٰذَا الْفَسَائِلِ ، فَلاَ يَزَالُ يَسْقِيْهَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَّ يَقْلَعُ الْحَشَائِشَ ، وَيَعْزِقُ الْأَرْضَ حَوْلَهَا ، فَيَجْعَلُ بَاطِنَهَا ظَاهِرَهَا » .

هُنَا فَرَغَ الْبُسْتَانِيُّ مِنْ إِصْلاَحِ الْأَرْضِ وَ ذَهَبَ يَنْقُلُ فَسِيْلاً ، فَتَبِعَهُ عُمَرُ وَعَبَّاسُ ، وَوَقَفَا بِجَانِبِهِ .



٣٣ جِسْمُ النَّبَاتِ

—(٢)—

حَفَرَ الْبُسْتَانِيُّ الْأَرْضَ حَوْلَ الْفَسِيْلِ بِاحْتِرَاسٍ، كَأَنَّهُ يَخَافُ شَيْئًا، فَسَأَلَ عَبَّاسٌ وَالِدَهُ عَنْ ذٰلِكَ، وَقَالَ: لِمَاذَا يَتَوَانَى الْبُسْتَانِيُّ فِيْ شُغْلِهِ، وَلَا يُعَجِّلُ؟

قَالَ عُمَرُ: هُوَ يَخَافُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْضَ الْجُذُوْرِ فَيَضُرَّ بِالْفَسِيْلِ، وَرُبَّمَا يَمُوْتُ، لِأَنَّ الْجُذُوْرَ لَازِمَةٌ لِلشَّجَرَةِ وَبِهَا حَيَاتُهَا.

قَالَ عَبَّاسٌ: وَمَا فَائِدَةُ الْجُذُوْرِ وَمَا شُغْلُهَا حَتَّى لَا تَحْيَا الشَّجَرَةُ بِغَيْرِهَا.

قَالَ عُمَرُ: اَلنَّبَاتُ إِنَّمَا يَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ بِالْجُذُوْرِ فَهِيَ الَّتِيْ تَمْتَصُّ الْغِذَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، وَتَبْحَثُ عَنْهُ، أَلَا تَرَاهَا مُمْتَدَّةً مُتَشَعِّبَةً فِيْ بَاطِنِ الْأَرْضِ، كَأَنَّهَا جَوَاسِيْسُ وَعُيُوْنٌ قَدِ انْبَثَّتْ لِعَمَلِهَا.

عَبَّاسٌ: وَمَا هِيَ الْأَجْزَاءُ اللَّازِمَةُ لِلنَّبَاتِ غَيْرُ الْجُذُوْرِ؟

قَالَ عُمَرُ: مِنَ الْأَعْضَاءِ اللَّازِمَةِ لِلنَّبَاتِ السَّاقُ،

وَهُــوَ الْجُزْءُ الْبَارِزُ عَلَى الْأَرْضِ ، وهو الَّذِىْ يَحْمِلُ الْفُرُوْعَ وَالْأَوْرَاقَ، وَيَسِيْلُ فيه غِذَاءُ الشَّجَرَةِ ، وَ يَنْتَقِلُ إِلَى أَجْزَائِهَا .

وَ الْآخَرُ اللَّازِمُ لِلنَّبَاتِ الْأَوْرَاقُ وَبِهَا يَتَنَفَّسُ النَّبَاتُ ، وَ يَأْخُذُ مِنَ الْهَوَاءِ مَايُصْلِحُ بِهِ حَيَاتَهُ .

وَهٰذِهِ الثَّلَاثَةُ : الْجُذُوْرُ ، وَالسَّاقُ ، وَالْأَوْرَاقُ ، هِىَ أَعْضَاءُ النَّبَاتِ اللَّازِمَةُ لِحَيَاتِهِ وَنَمَائِهِ ، وَيَكْفِيْكَ يَاعَبَّاسُ ؛ هٰذَا الدَّرْسُ الْأَوَّلُ عَنِ النَّبَاتِ .

قَالَ عَبَّاسٌ : عَجَبًا يَّا أَبِىْ ، مَاكُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ النَّبَاتَ جِسْمٌ حَيٌّ تَامٍ، لَّهُ تَرْكِيْبٌ دَقِيْقٌ .

قَالَ عُمَرُ : وَكَذٰلِكَ كُلُّ شَىْءٍ ، فَإِذَا دَرَسْتَهُ كَكِتَابٍ تَعَجَّبْتَ مِنْ صُنْــعِ اللهِ الَّذِىْ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ، وَعَرَفْتَ أَنَّ فِىْ كُلِّ شَىْءٍ آيَةً لِّلّٰهِ ، وَفِىْ ذٰلِكَ يَقُوْلُ الشَّاعِرُ :

وَ لِلّٰهِ فِىْ كُلِّ تَحْرِيْكَةٍ
وَفِىْ كُلِّ تَسْكِيْنَةٍ شَاهِدُ
وَ فِىْ كُلِّ شَىْءٍ لَّهُ آيَةٌ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِــدُ

٣٤ أَلْبَبْغَاءُ

أَلِفْتُهَا صَبِيْحَةً مَلِيْحَةْ
نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْفَصِيْحَةْ

عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانُ
يُوْهِمُنِيْ بِأَنَّهَا إِنْسَانُ

تُنْهِيْ إِلَىٰ صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا
وَ تَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَ الْأَسْتَارَا

بَكْمَاءُ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيْعَةْ
تُعِيْدُ مَاتَسْمَعُهُ طَبِيْعَةْ

زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيْدَةْ
وَاسْتَوْطَنَتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيْدَةْ

ضَيْفٌ قِرَاهُ الْجَوْزُ وَ الْأَرُزُّ
وَ الضَّيْفُ فِيْ إِتْيَانِهِ يُعَزُّ

تَرَاهُ فِيْ مِنْقَارِهِ الرَّقِيْقِ
كَلُؤْلُوءٍ يَلْقُطُ بِالْعَقِيْقِ

تَنْظُرُ مِنْ طَرْفَيْنِ كَالْفَصَّيْنِ
فِي النُّوْرِ وَ الظُّلْمَةِ بَصَّاصَيْنِ
خَرِيْدَةٌ خُدُوْرُهَا الْأَقْفَاصُ
لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
تَحْبِسُهَا وَ مَالَهَا مِنْ ذَنْبِ
وَ إِنَّمَا ذَاكَ لِفَرْطِ الْحُبِّ

(أَبُوْإِسْحٰق الصَّابِيُّ)

۳۵ أَلْحَجَّاجُ وَالْفِتْيَةُ

أَمَرَ الْحَجَّاجُ صَاحِبَ حَرَسِهِ أَنْ يَّطُوْفَ لَيْلاً ، فَمَنْ رَآهُ بَعْدَ الْعِشَاءِ سَكْرَانَ ضَرَبَ عُنُقَهُ ، فَطَافَ لَيْلَةً مِّنَ اللَّيَالِيْ فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتْيَانٍ يَّتَمَايَلُوْنَ ، وَ عَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ السُّكْرِ ، فَأَحَاطَتْ بِهِمُ الْغِلْمَانُ وَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ الْحَرَسِ : مَنْ أَنْتُمْ حَتّٰى خَالَفْتُمْ أَمْرَ أَمِيْرِالْمُؤْمِنِيْنَ ، وَخَرَجْتُمْ فِيْ مِثْلِ هٰذَا الْوَقْتِ ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمْ .

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتِ الرِّقَابُ لَهُ
مِنْ بَيْنِ مَخْزُوْمِهَا وَ هَاشِمِهَا

تَأْتِيْــهِ بِالرَّغْـمِ وَ هِيَ صَاغِرَةٌ
يَأْخُذُ مِنْ مَّالِهَا وَمِنْ دَمِهَا

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ.

ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ: وَ أَنْتَ مَنْ تَكُوْنُ؟ فَقَالَ:

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِـدْرُهُ
وَ إِنْ نَزَلَتْ يَوْماً فَسَوْفَ تَعُوْدُ

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَ قُعُوْدُ

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَ قَالَ: لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ.

ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ: وَأَنْتَ مَنْ تَكُوْنُ؟ فَأَنْشَدَ قَائِلًا:

أَنَا ابْنُ مَنْ خَاضَ الصُّفُوْفَ بِعَزْمِـهِ
وَ قَوَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتِ

رِكَابَاهُ لَا تَنْفَكُّ رِجْـلَاهُ مِنْهُمَا
إِذَا الْخَيْلُ فِيْ يَوْمِ الْكَرِيْهَةِ وَلَّتِ

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَ قَالَ: لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ، وَ احْتَفَظَ بِهِمْ.

فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى الْأَمِيْرِ، فَأَحْضَرَهُمْ

وَكَشَفَ عَنْ حَالِهِمْ، فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حَجَّامٍ، وَّالثَّانِي ابْنُ خُضَرِيٍّ، وَّالثَّالِثُ ابْنُ حَائِكٍ، فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ، وَقَالَ لِجُلَسَائِهِ: عَلِّمُوْا أَوْلَادَكُمُ الْأَدَبَ، فَوَاللّٰهِ لَوْلَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ.

٣٦ أَنَا تُرَابٌ

أَنَا تُرَابٌ حَقِيْرٌ يَّطَأُنِي النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ وَنِعَالِهِمْ، وَ يَضْرِبُوْنَ بِيْ مَثَلًا فِي الْحَقَارَةِ وَ الذُّلِّ.

اَلنَّاسُ يَنْتَفِعُوْنَ بِيْ فِيْ كُلِّ سَاعَةٍ، وَّفِيْ كُلِّ مَكَانٍ وَّزَمَانٍ، ثُمَّ يَحْتَقِرُوْنَنِيْ وَ يَهْجُوْنَنِيْ، كَالشَّعِيْرِ يُؤْكَلُ وَيُذَمُّ.

فَفِيْ مَنَاكِبِيْ يَمْشِي النَّاسُ، وَعَلٰى ظَهْرِيْ يَبْنُوْنَ بُيُوْتًا وَّمَبَانِيَ عَظِيْمَةً، وَّمِنْ بَطْنِيْ تَخْرُجُ لِلنَّاسِ حُبُوْبٌ يَّأْكُلُهَا النَّاسُ، وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَّالزَّيْتُوْنُ وَالرُّمَّانُ، وَ النَّخْلُ وَ الزَّرْعُ مُخْتَلِفًا أُكُلُهٗ.

وَ مِنْ بَطْنِيْ يَخْرُجُ ذٰلِكَ الْقُطْنُ الَّذِيْ بِهٖ لِبَاسُكُمْ وَ كِسْوَتُكُمْ فِي الصَّيْفِ وَ الشِّتَاءِ، وَسَرَابِيْلُ تَقِيْكُمُ الْحَرَّ.

وَ فِيْ لِبَاسِ الْحَرِيْرِ أَيْضاً يَرْجِعُ إِلَيَّ الْفَضْلُ ، فَإِنَّ دُوْدَةَ الْقَزِّ تَتَغَذّٰى مِنْ وَّرَقِ التُّوْتِ ، وَمِنِّيْ تَتَغَذّٰى شَجَرَةُ التُّوْتِ ، وَ عَلَيَّ تَنْمُوْ وَ تَعِيْشُ ، وَ عَلٰى ظَهْرِيْ تَحْفِرُوْنَ الْبِئْرَ الَّتِيْ تَشْرَبُوْنَ مَاءَهَا ، وَ عَلٰى ظَهْرِيْ تَجْرِيْ الْأَنْهَارُ الَّتِيْ تَسْقِيْكُمْ ، وَتَسْقِيْ زُرُوْعَكُمْ .

وَ مِنَ الطِّيْنِ يَبْنِي الْفَخَّارِيُّ الْأَوَانِيَ وَ الظُّرُوْفَ ، الَّتِيْ تَأْكُلُوْنَ فِيْهَا وَ تَشْرَبُوْنَ ، وَ اللُّعَبُ وَ الدُّمٰى الَّتِيْ يَلْعَبُ بِهَا الْأَطْفَالُ .

وَ هَلْ تُصَدِّقُوْنَ إِذَا أَخْبَرْتُكُمْ بِأَنِّيْ مَادَّةُ هٰذَا الْكِتَابِ الَّذِيْ تَقْرَأُوْنَهُ ، وَ مَادَّةُ كُلِّ كِتَابٍ وَّصَحِيْفَةٍ ، فَإِنَّ مَادَّةَ الْوَرَقِ الْحَشِيْشُ الَّذِيْ يَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ ، فَلِيَ مِنَّةٌ عَلٰى كُلِّ عَالِمٍ وَّ طَالِبٍ ، وَلِيَ مِنَّةٌ عَلٰى كُلِّ مَنْ عَلَيْهِ مِنَّةُ الْعِلْمِ وَ الدِّيْنِ .

وَ مِنْ بَطْنِيْ يَخْرُجُ الذَّهَبُ وَ الْفِضَّةُ ، وَالنُّحَاسُ وَ الْحَدِيْدُ ، الَّذِيْ فِيْهِ بَأْسٌ شَدِيْدٌ وَّ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، وَ الزَّيْتُ الَّذِيْ يُضِيْءُ وَ الْفَحْمُ الْحَجَرِيُّ الَّذِيْ تَسِيْرُ بِهِ الْقَاطِرَةُ ، وَالْبِتْرُوْلُ الَّذِيْ تَسِيْرُ بِهِ السَّيَّارَاتُ و الطَّائِرَاتُ

إِنَّكُمْ تُفْسِدُوْنَ أَطْيَبَ الْأَشْيَاءِ ، فَكُلُّ مَا تَلْبَّسَ بِكُمْ فَسَدَتْ رَائِحَتُهُ ، وَ ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ ، وَ أَنَا أُعِيْدُهُ غَضًّا طَرِيًّا ؛ وَ بِهٰذَا السَّمَادِ الَّذِيْ تُلْقُوْنَهُ فِي الْحُقُوْلِ وَ الْفَسَائِلِ أُنْبِتُ لَكُمْ حَبًّا صَحِيْحًا ، وَ فَاكِهَةً لَّذِيْذَةً ، وَ زُهُوْرًا جَمِيْلَةً .

أَنَا أَمِيْنُ أَجْسَادِ الْأَنْبِيَاءِ ، أَنَا مَرْقَدُ الشُّهَدَاءِ ، أَنَا مُسْتَوْدَعُ الْأَوْلِيَاءِ ، أَنَا مَضْجَعُ الْعُلَمَاءِ وَ الصُّلَحَاءِ ، أَنَا مَدْفَنُ الْأُمَّهَاتِ وَ الْآبَاءِ ، فَلَا تَمْشُوْا عَلَيَّ مَرَحًا ، وَ اذْكُرُوْا قَوْلَ صَاحِبِكُمْ :

خَفِّفِ الْوَطْأَ مَا أَظُنُّ أَدِيْمَ
الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هٰذِهِ الْأَجْسَادِ
وَ قَبِيْحٌ بِنَا وَ إِنْ قَدُمَ الْعَهْـ
ـدُ هَوَانُ الْآبَاءِ وَ الْأَجْدَادِ
سِرْ إِنِ اسْتَطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُوَيْدًا
لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ



(٣٧) أَلسُّلْطَانُ مَحْمُوْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُجْرَاتِيُّ

أَلسُّلْطَانُ الْعَادِلُ الْمُجَاهِدُ ، أَبُوالْفَتْحِ سَيْفُ الدِّيْنِ مَحْمُوْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُجْرَاتِيُّ ، كَانَ مِنْ خِيَارِ السَّلَاطِيْنِ ، وُلِدَ بِكُجْرَاتَ فِيْ عَاشِرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٨٤٩ھ وَقَامَ بِالْمُلْكِ بَعْدَ دَاوُدَ شَاهْ سَنَةَ ٨٦٢ھ وَكَانَ يَوْمًا مَّشْهُوْدًا

إِسْتَقَلَّ بِالْمُلْكِ خَمْسًا وَّ خَمْسِيْنَ سَنَةً ، وَ جَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ الْجِهَادِ ، وَ وَسَّعَ حُدُوْدَ مُلْكِهٖ إِلَىٰ مَالْوَهْ ، وَ إِلَىٰ بِلَادِ السِّنْدِ ، وَ لٰكِنَّهٗ فِيْ تِلْكَ الْمُدَّةِ الطَّوِيْلَةِ لَمْ يَطْمَحْ إِلَىٰ بِلَادِ الْمُسْلِمِيْنَ وَلَمْ يَسْتَشْرِفْ لَهَا ، وَإِذَا اسْتَوْلَى الْقَوِيُّ مِنْهُمْ عَلَى الضَّعِيْفِ قَامَ بِنُصْرَةِ الضَّعِيْفِ ، وَكَانَ قَائِمًا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، يُنَفِّذُ أَمْرَ الشَّرْعِ فِي السِّيَاسَةِ ، وَ يُمْضِيْ حُكْمَ الْقِصَاصِ ، وَلَا يَمْنَعُ كَوْنُ أَحَدٍ مِّنْ عُظَمَاءِ الْمُلْكِ الْخَاصَّةِ بِهٖ أَنْ لَّا يَعْمَلَ بِالشَّرِيْعَةِ .

وَمِنْ مَّكَارِمِهٖ قِيَامُهٗ بِتَعْمِيْرِ الْبِلَادِ وَتَأْسِيْسِ الْمَسَاجِدِ ، وَ الْمَدَارِسِ وَ الزَّوَايَا ، وَ تَكْثِيْرِ الزِّرَاعَةِ وَ غَرْسِ الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ ، وَبِنَاءِ الْحَدَائِقِ وَ الْبَسَاتِيْنِ ، وَ تَحْرِيْضُ

النَّاسِ عَلَىٰ ذٰلِكَ ، وَ إِعَانَتِهِمْ بِحَفْرِ الْآبَارِ وَ إِجْرَاءِ الْعُيُوْنِ ، وَ لِذٰلِكَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ إِقْبَالاً كُلِّيًّا ، وَوَفَدَ عَلَيْهِ الْبَنَّاءُوْنَ وَ الْمُهَنْدِسُوْنَ وَ أَهْلُ الْحِرَفِ وَ الصَّنَائِعِ مِنْ بِلاَدِ الْعَجَمِ ، فَقَامُوْا بِحِرَفِهِمْ وَ صَنَائِعِهِمْ ، فَصَارَتْ كُجْرَاتُ رِيَاضًا مُخْضَرَّةً بِكَثْرَةِ الْحِيَاضِ وَ الْآبَارِ ، وَ الْحَدَائِقِ وَ الزُّرُوْعِ وَ الْفَوَاكِهِ الطَّيِّبَةِ ، وَ صَارَتْ بِلاَدُ كُجْرَاتَ مَتْجَرَةً تُجْلَبُ مِنْهَا الثِّيَابُ الرَّفِيْعَةُ إِلَىٰ بِلاَدٍ أُخْرَىٰ ، وَذٰلِكَ كُلُّهُ بِمَيْلِ سُلْطَانِهَا مَحْمُوْدٍ شَاهْ إِلَىٰ مَا يَصْلُحُ بِهِ الْمُلْكُ وَ الدَّوْلَةُ ، وَ يَتَرَفَّهُ بِهِ رَعَايَاهُ .

وَ مِنْ مَكَارِمِهِ قِيَامُهُ بِتَرْبِيَةِ الْعُلَمَاءِ وَ الصَّالِحِيْنَ لِمَا كَانَ مَجْبُوْلاً عَلَىٰ حُبِّ الْعِلْمِ وَ أَهْلِهِ ، فَاجْتَمَعَ فِيْ حَضْرَتِهِ خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِّنْ أَفَاضِلِ الْعَرَبِ ، حَتَّىٰ صَارَتْ بِلاَدُ كُجْرَاتَ عَامِرَةً آهِلَةً بِالْعُلَمَاءِ ، وَرَفَدَ عَلَيْهِ الْمُحَدِّثُوْنَ مِنْ بِلاَدِ الْعَرَبِ ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الْحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ ، فَتَشَابَهَتْ كُجْرَاتُ بِالْيَمَنِ الْمَيْمُوْنِ ، وَفَاقَتْ سَائِرَ بِلاَدِ الْهِنْدِ فِيْ ذٰلِكَ .

وَكَانَ غَايَةً فِي الْعِفَّةِ وَ الْحَيَاءِ ، حَسَنَ الْأَخْلاَقِ ،

عَظِيْمَ الْهِمَّةِ، كَرِيْمَ السَّجِيَّةِ، شَرِيْفَ النَّفْسِ، كَثِيْرَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، أَطَالَ الْمُؤَرِّخُوْنَ فِيْ مَنَاقِبِهِ وَ فَضَائِلِهِ.

فِيْ سَنَةِ ٩١٦ھ تَوَجَّهَ إِلَىٰ نَهْرِوَالَهْ بَتَنْ، وَ زَارَ أَئِمَّةَ الدِّيْنِ بِهَا أَحْيَاءً وَّ أَمْوَاتًا، وَّ عَقَدَ مَجْلِسًا خَاصًّا لِمُذَاكَرَةِ التَّفْسِيْرِ وَ الْحَدِيْثِ، وَ أَكْثَرَ مِنَ الْجَوَائِزِ، وَ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَ الْوَظَائِفِ، وَ الْتَمَسَ الدُّعَاءَ، وَكَانَ أَنْشَأَ مَضْجَعَهُ فِيْ جِوَارِ قَبْرِ مَوْلَانَا الشَّيْخِ أَحْمَدَ فِيْ سَرْكَهِيْجَ، يَتَعَهَّدُهُ أَحْيَانًا، وَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ فَتَحَ الْقَبْرَ وَ جَلَسَ عِنْدَهُ وَقَالَ: اَللّٰهُمَّ إِنَّ هٰذَا أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَسَهِّلْهُ وَاجْعَلْهُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ مَلَأَهُ فِضَّةً وَّ تَصَدَّقَ بِهَا.

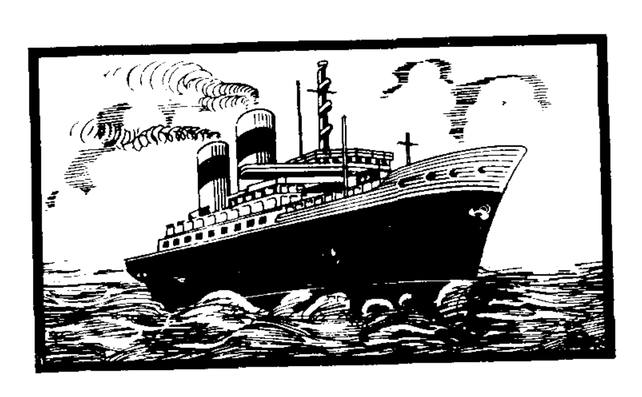
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ عَصْرَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ ثَانِيْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٩١٧ھ وَلَهُ تِسْعٌ وَّسِتُّوْنَ سَنَةً وَ مُدَّةُ سَلْطَنَتِهِ خَمْسٌ وَّ خَمْسُوْنَ سَنَةً.

(نزهة الخواطر للشيخ عبد الحى الحسنى)



٣٨ أَلْبَاخِرَةُ

—(١)—



كَانَ النَّاسُ فِيْ قَدِيْمِ الزَّمَانِ يُسَافِرُوْنَ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ عَلَى الْإِبِلِ وَ الْبِغَالِ ، وَ عَجَلَاتِ الْخَيْلِ وَ عَجَلَاتِ الثِّيْرَانِ ، فَتَرَاهَا غَادِيَةً رَّائِحَةً عَلَى الطُّرُقَاتِ وَ الشَّوَارِعِ تَحْمِلُ الرُّكَّابَ وَ الْبَضَائِعَ .

وَكَانَ النَّاسُ يَخَافُوْنَ السَّفَرَ فِي الْبِحَارِ وَيَتَحَامَوْنَهُ ، وَلٰكِنْ أَلْجَأَتْهُمُ الضَّرُوْرَةُ إِلَى السَّفَرِ فِيْهَا لِأَنَّهُ يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ الْعَظِيْمَةَ وَ لَا يُكَلِّفُ نَفَقَةً ، فَوَصَلُوا الْأَنْهَارَ وَ الْبُحَيْرَاتِ بِالتُّرَعِ ، وَ صَارُوْا يُسَافِرُوْنَ فِيْهَا عَلَى السُّفُنِ الشِّرَاعِيَّةِ ،

وَ يَنْقُلُوْنَ بَضَائِعَهُمُ التِّجَارِيَّةَ مِنْ مَّكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ بَعِيْدٍ . وَ كَانَتْ هٰذِهِ السُّفُنُ الشِّرَاعِيَّةُ تَسِيْرُ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ فِىْ سَاعَةٍ وَّاحِدَةٍ ، وَّ كَانَتْ هٰذِهِ السُّفُنُ تَحْتَ حُكْمِ الرِّيَاحِ ، فَإِنْ وَافَقَتْ وَصَلَتِ السَّفِيْنَةُ فِىْ وَقْتٍ قَرِيْبٍ ، وَّ إِنْ عَارَضَتْ وَقَفَتْ أَسَابِيْعَ وَ شُهُوْرًا ، وَّ إِنَ عَانَدَتْ صَدَمَتْهَا بِصَخْرَةٍ فَكَسَرَتْهَا ، أَوْ قَلَبَتْهَا ، وَ هَلَكَ الرُّكَّابُ وَ غَرِقَتِ الْبَضَائِعُ ، وَكَانَ هٰذَا يَقَعُ كَثِيْرًا حَتّٰى ذَهَبَ مَثَلًا، وَّ قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ مُدْرِكُهُ

تَجْرِى الرِّيَاحُ بِمَا لَاتَشْتَهِى السُّفُنُ

وَ كَانَ السَّفَرُ خَطِرًا لَّايَدْرِى الْإِنْسَانُ أَيَصِلُ إِلَى الْمَنْزِلِ أَمْ يَمُوْتُ فِى الطَّرِيْقِ ، فَكَانَ الْوَاحِدُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُّسَافِرَ فِىْ سَفِيْنَةٍ شِرَاعِيَّةٍ أَوْصٰى أَقَارِبَهُ وَ أَصْدِقَاءَهُ بِدُيُوْنِهٖ وَ بِمَا عَلَيْهِ ، وَ كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَّقُوْلَ : إِنَّهُ يَصِلُ فِىْ شَهْرٍ أَوْعَامٍ ، فَإِنَّهُ يُسَافِرُ فِىْ ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ ، وَكَانَ دُوْدًا عَلَىٰ عُوْدٍ ، لَّا يَدْرِىْ أَيَمُوْتُ فِى الطَّرِيْقِ أَمْ يَصِلُ سَالِمًا وَّ يَعُوْدُ .

وَ كَانَ النَّاسُ رَغْمَ ذٰلِكَ كُلِّهِ يُخَاطِرُوْنَ بِأَنْفُسِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ ، وَ كَانَ الْمُسْلِمُوْنَ يُسَافِرُوْنَ لِلْحَجِّ مِنْ كُلِّ بِلَادٍ ، وَّ لَا يَمْنَعُهُمْ خَطَرٌ أَوْ خَوْفٌ مِّنَ السَّفَرِ إِلَىٰ بَيْتِ اللّٰهِ ، وَأَدَاءِ فَرِيْضَةِ الْحَجِّ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُوْنَ مِنَ الْهِنْدِ ، وَ الصِّيْنِ ، وَ جَزَائِرِ بَحْرِ الْهِنْدِ ، وَ كَذٰلِكَ مِنْ مَّرَّاكِشْ وَ بِلَادِ الْأَنْدُلُسِ يُسَافِرُوْنَ كُلَّ عَامٍ لِّلْحَجِّ ، وَقَدْ يَسْتَغْرِقُ سَفَرُهُمْ عَامًا كَامِلًا أَوْ أَكْثَرَ .

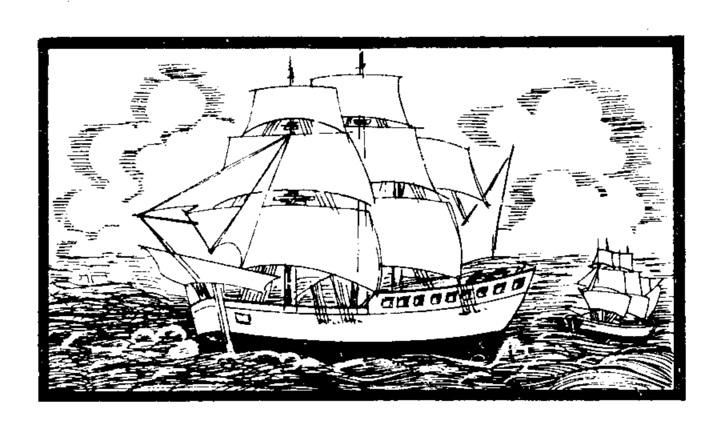
وَ كَانَ الْجَوَّابُوْنَ يَسِيْحُوْنَ فِي الْأَرْضِ ، وَيَرْكَبُوْنَ الْبَحْرَ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَىٰ إِلَى الْمَشْرِقِ الْأَقْصَىٰ ، وَكَانَ الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ كَبَيْتٍ وَّاحِدٍ ، وَّالْمُسْلِمُوْنَ كَأُسْرَةٍ وَّاحِدَةٍ ، يَّنَالُ الْجَوَّابُ فِي السَّفَرِ كُلَّ مَا يَجِدُهُ فِي الْوَطَنِ .

أَهْلًا بِأَهْلٍ وَّ جِيْرَانًا بِجِيْرَانٍ .

وَقَدْ سَافَرَ ابْنُ بَطُّوْطَةَ الْمَغْرِبِيُّ ، وَ ابْنُ جُبَيْرٍ الْأَنْدُلُسِيُّ ، وَ سُلَيْمَانُ التَّاجِرُ ، إِلَىٰ مُعْظَمِ الْمَعْمُوْرَةِ بِهٰذِهِ السُّفُنِ .

٣٩ أَلْبَاخِرَةُ

—(٢)—



مَضَى عَلَى ذٰلِكَ قُرُوْنٌ، ثُمَّ بَدَأَ النَّاسُ يُفَكِّرُوْنَ، وَ يَخْتَرِعُوْنَ حَتَّى تَوَصَّلُوْا إِلَى سَفِيْنَةٍ تَسِيْرُ بِالْبُخَارِ، وَكَانَ ذٰلِكَ بِالتَّدْرِيْجِ، وَفِيْ عِدَّةِ قُرُوْنٍ.

كَانَتِ السُّفُنُ الشِّرَاعِيَّةُ تَسِيْرُ بِالْمَجَادِيْفِ، وَ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ فَرَكَّبَ فِيْ سَفِيْنَةٍ عَجَلَةً رَبَطَ بِهَا الْمَجَادِيْفَ، فَإِذَا دَارَتِ الْعَجَلَةُ بَدَأَتِ الْمَجَادِيْفُ تَعْمَلُ وَ تَمْخَرُ الْمَاءَ.

ثُمَّ اهْتَدَى بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ إِلَى إِدَارَةِ الْعَجَلَةِ بِالْبُخَارِ، وَ الْاِسْتِغْنَاءِ عَنِ الْيَدِ الْعَامِلَةِ، وَلَمْ تَزَلِ الصِّنَاعَةُ تَرْتَقِيْ،

حَتّیٰ ظَهَرَتْ أَوَّلُ سَفِيْنَةٍ بُخَارِيَّةٍ، صَنَعَهَا رَجُلٌ أَمْرِيْكِيٌّ اسْمُهُ «هِلْتَنْ كِلَرْ مَا وُنْتُ» قَطَعَتْ مِائَةَ مِيْلٍ فِيْ أَرْبَعٍ وَّ عِشْرِيْنَ سَاعَةً.

وَلَمْ تَزَلِ السُّفُنُ الْبُخَارِيَّةُ تَتَقَدَّمُ فِي السُّرْعَةِ وَالْقُوَّةِ، حَتّیٰ أَصْبَحَتْ تَعْبُرُ الْبَحْرَ الْأَطْلَانْتِيْكِيَّ بَيْنَ إِنْكَلْتَرَةَ وَ أَمْرِيْكَةَ فِيْ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَّ كَانَ السَّفَرُ فِيْ هٰذَا الْبَحْرِ يَأْخُذُ شَهْرَيْنِ.

وَ الْبَاخِرَةُ كَالْقَاطِرَةِ تَسِيْرُ بِقُوَّةِ الْبُخَارِ، فَإِنَّهُ يُدِيْرُ الْعَجَلَةَ، وَ الْعَجَلَةُ مُتَّصِلَةٌ بِآلَاتٍ تَتَحَرَّكُ الْبَاخِرَةُ بِدَوَرَانِهَا وَ تَسِيْرُ.

وَ كَذٰلِكَ هُنَالِكَ آلَاتٌ تُوَجِّهُ الْبَاخِرَةَ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ، وَتُسَخِّرُهَا لِلرُّبَّانِ يَسِيْرُ بِهَا كَيْفَ يَشَاءُ.

وَقَدْ تَقَدَّمَتِ التِّجَارَةُ تَقَدُّمًا عَظِيْماً، وَّ أَصْبَحَ النَّاسُ يُسَافِرُوْنَ فِي الْبَحْرِ عَلَىٰ مَتْنِ الْبَاخِرَةِ كَأَنَّهُمْ يُسَافِرُوْنَ فِي الْبَرِّ عَلَى الْقِطَارِ، أَوْ مُطْمَئِنُّوْنَ فِي الْبَلَدِ وَ جَالِسُوْنَ فِي الدَّارِ

وَ كَبُرَتِ الْمَرَاكِبُ وَتَوَسَّعَتْ، حَتّیٰ كَأَنَّهَا حَارَةٌ

مِّنْ حَارَاتِ الْبَلَدِ ، أَوْ قَرْيَةٌ صَغِيْرَةٌ ، فِيهَا الْمَطْعَمُ وَ الْمَلْعَبُ وَمُنْتَزَهَاتٌ، وَتَحْمِلُ مِنَ الرُّكَّابِ مِنْ خَمْسِ مِائَةٍ إِلَى أَلْفٍ .

وَ إِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ السُّفُنَ الشِّرَاعِيَّةَ وَ الْمَرَاكِبَ الْبُخَارِيَّةَ تَجْرِىْ فِى الْبَحْرِ رُخَاءً تَعَجَّبَ ، وَرَأَىٰ تَصْدِيْقَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ « وَ سَخَّرَلَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ،وَ سَخَّرَلَكُمُ الْأَنْهَارَ » .

⓸⓪ جِسْمُ الطُّيُوْرِ

إِنَّ اللّٰهَ وَهَبَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ صَغِيْرٍ وَّ كَبِيْرٍ جِسْماً لَائِقًا، وَّأَعْضَاءً يَّسْتَعِيْنُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ، وَتَحْصِيْلِ قُوْتِهِ، وَسِلَاحًا يُّدَافِعُ بِهِ عَنْ نَّفْسِهِ، فَهُوَ الَّذِىْ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ .

أُنْظُرُوْا إِلَى الْفِيْلِ كَيْفَ مَدَّ اللّٰهُ فِىْ أَنْفِهِ لِيَسْتَخْدِمَهُ فِىْ حَوَائِجِهِ ، وَ يَتَنَاوَلَ بِهِ الطَّعَامَ وَالْمَاءَ،وَيُوَجِّهَهُ حَيْثُ شَاءَ ،وَفِىْ طَرَفِهِ زَائِدَةٌ يَلْتَقِطُ بِهَا الْأَشْيَاءَ الدَّقِيْقَةَ ، وَقَدْ

وَرَأَيْتُمْ أَنَّ الْجَمَلَ رَقَبَتُهُ طَوِيلَةٌ ، لِأَنَّهُ كَبِيرُ الْجِسْمِ، طَوِيلُ الْأَرْجُلِ ، فَلَوْ كَانَتْ رَقَبَتُهُ قَصِيرَةً لَّمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يَّرْعَى الْكَلَاءَ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّىٰ يَبْرُكَ ، وَ فِيْ ذٰلِكَ تَعَبٌ عَظِيمٌ، وَّشُغْلٌ كَثِيرٌ، فَمَدَّ اللّٰهُ فِيْ عُنُقِهِ ، وَ رَأْسُهُ صَغِيرٌ ، فَكَانَ خَفِيفَ الْحَمْلِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، وَلَمَّا قَدَّرَ اللّٰهُ أَنْ يَّكُوْنَ الْجَمَلُ سَفِينَةَ الصَّحْرَاءِ جَعَلَ أَرْجُلَهَا مُنَاسِبَةً لِّذٰلِكَ ، فَلَا تَسُوْخُ فِي الرِّمَالِ ، وَ خَلَقَ فِيْ جَوْفِهِ كُرُوْشًا وَّ أَزْقَاقًا يَّخْزُنُ فِيهَا الْغِذَاءَ وَ الْمَاءَ ، لِأَنَّ السَّفَرَ فِي الصَّحْرَاءِ يَحْتَاجُ إِلَىٰ ذٰلِكَ كَثِيرًا .

أُنْظُرُوْا إِلَى الْقُنْغُرِ وَ الْأَرْنَبِ ، تَرَوْا رِجْلَيْهِمَا الْخَلْفِيَّتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ وَكَبِيرَتَيْنِ ، وَ رِجْلَيْهِمَا الْأَمَامِيَّتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ وَ قَصِيرَتَيْنِ ، لِيُمْكِنَهُمَا الْجَرْيُ قَفْزًا ، وَّ فِيْ قَدَمَيِ الرِّجْلَيْنِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ لِلْقُنْغُرِ ظِلْفٌ حَادٌّ جِدًّا ، هو سِلَاحُهُ يَبْقُرُ بِهِ بَطْنَ عَدُوِّهِ بِطَعْنَةٍ وَّاحِدَةٍ .

كَذٰلِكَ الطُّيُوْرُ، فَفِيْ جِسْمِهَا وَخِلْقَتِهَا آيَاتٌ لِلّٰهِ ، فَقَدْ كَسَا اللّٰهُ جِسْمَهَا بِالرِّيشِ ، لِأَنَّهُ أَخَفُّ لِلطَّيَرَانِ ، وَ جَعَلَ عِظَامَ الطَّائِرِ رَقِيقَةً جَوْفَاءَ ، فَلَا يَعُوْقُهُ ثِقَلُ

رِيْشٍ ، أَوْ جِسْمٍ عَنِ الطَّيَرَانِ .

ثُمَّ وَهَبَ أَنْوَاعَ الطُّيُوْرِ أَنْوَاعًا مِّنَ الْمَنَاقِيْرِ ، تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ طَبِيْعَةِ الطَّيْرِ وَغِذَائِهِ وَعَادَاتِهِ، وَكَذٰلِكَ يَخْتَلِفُ تَرْكِيْبُ أَقْدَامِهِ .

أُنْظُرْ إِلَى الْعَصَافِيْرِ وَ الْحَمَامِ ، وَالْيَمَامِ وَالْغِرْبَانِ ، لَيْسَتْ أَجْسَامُهَا عَالِيَةً ، وَّ أَنَّهَا تَلْقُطُ حَبًّا صَغِيْرًا مِّنَ الْأَرْضِ ، فَلَمْ تَكُنْ فِيْ حَاجَةٍ إِلَى طُوْلِ الْأَعْنَاقِ ، وَ مَنَاقِيْرُهَا مُسْتَقِيْمَةٌ وَّ قَصِيْرَةٌ تُعِيْنُهَا فِيْ حَاجَاتِهَا .

أُنْظُرْ إِلَى الطُّيُوْرِ الَّتِيْ تَعِيْشُ فِي الْمَاءِ ، وَ تَبْحَثُ عَنْ قُوْتِهَا فِي الْمَاءِ كَالْبَطِّ وَاللَّقْلَقِ ، تَرَ أَعْنَاقَهَا وَ مَنَاقِيْرَهَا طَوِيْلَةً لِأَنَّهَا تُرْسِلُ مَنَاقِيْرَهَا فِيْ أَعْمَاقِ الْأَنْهَارِ وَ الْبِرَكِ ، وَ تَسْتَخْرِجُ قُوْتَهَا مِنْ أَحْشَائِهَا ، فَخَلَقَ اللّٰهُ لَهَا أَعْنَاقًا طَوِيْلَةً ، وَّ مَنَاقِيْرَ مُسْتَقِيْمَةً وَّ طَوِيْلَةً كَذٰلِكَ .

وَ انْظُرْ إِلَى الطُّيُوْرِ الَّتِيْ تَقْتَاتُ بِاللَّحْمِ وَ الْفَاكِهَةِ وَ تَأْكُلُهَا نَهْشًا ، كَالْحِدَاءِ و النُّسُوْرِ وَالصُّقُوْرِ لَا تَجِدُ مَنَاقِيْرَهَا مُسْتَقِيْمَةً ، لِأَنَّهَا لَا تُغْنِيْ عَنْهَا ، وَلَا تَقْضِيْ حَاجَتَهَا ، فَخَلَقَ اللّٰهُ لَهَا مَنَاقِيْرَ مُتَقَوِّسَةً حَادَّةَ الطَّرْفِ ، وَ يَكُوْنُ

طَرْفُهَا الْأَعْلَىٰ مُتَقَدِّمًا مُتَقَوِّسًا، فَيُعِيْنُهَا فِيْ نَهْشِ اللُّحُوْمِ وَ قَرْضِ الْفَوَاكِهِ وَفِي الْعَضِّ عَلَيْهَا.

كَذٰلِكَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى أَرْجُلِ الطُّيُوْرِ وَمَخَالِبِهَا، رَأَيْنَا بَيْنَهَا فَرْقًا بِحَسْبِ أَنْوَاعِ الطُّيُوْرِ وَ طَبَائِعِهَا، وَعَادَاتِهَا، وَغِذَائِهَا، فَالطُّيُوْرُ الَّتِيْ تَعِيْشُ عَلَى الْبَرِّ، وَ تَلْتَقِطُ الْحَبَّ لَيْسَتْ أَرْجُلُهَا طَوِيْلَةً، وَّ أَنَّهَا تَرْفَعُ رِجْلَيْهَا فِيْ وَقْتٍ وَّاحِدٍ، وَّتَمْشِيْ وَثْبًا، وَ أَمَّا الطُّيُوْرُ الَّتِيْ تَعِيْشُ فِي الْمَاءِ وَ تَصِيْدُ السَّمَكَ وَ هَوَامَّ الْمَاءِ فَإِنَّهَا تُقَدِّمُ رِجْلًا فِي الْمَشْيِ وَتُؤَخِّرُ أُخْرَىٰ كَالْإِنْسَانِ، وَتَمْشِيْ رُوَيْدًا، فَإِنَّهَا إِذَا وَثَبَتْ وَثَبَاتٍ أَوْ قَفَزَتْ أَفْلَتَهَا الصَّيْدُ.

كَذٰلِكَ الطُّيُوْرُ الَّتِيْ تَسْبَحُ فِي الْمَاءِ، وَ تَصِيْدُ فَلَهَا جِلْدٌ رَّقِيْقٌ فِيْ مَخَالِبِهَا يَصِلُ بَيْنَ أَصَابِعِهَا، فَتَنْتَشِرُ مَخَالِبُهَا كَالْمِظَلَّاتِ إِذَا نَشَرَتْ، وَتُسَاعِدُهَا فِي السِّبَاحَةِ مُسَاعَدَةً غَالِيَةً.

وَ الطُّيُوْرُ الَّتِيْ تَقْتَاتُ بِاللَّحْمِ لَهَا أَرْجُلٌ قَوِيَّةٌ وَ مَخَالِبُ كَبِيْرَةٌ، وَّفِيْ أَصَابِعِهَا أَظْفَارٌ مُّتَقَوِّسَةٌ حَادَّةُ الْأَطْرَافِ تُسَاعِدُهَا فِيْ نَهْشِ اللُّحُوْمِ، وَتَقُوْمُ أَرْجُلُهَا

وَ مَخَالِبُهَا مَقَامَ الْأَرْجُلِ وَ الْأَيْدِيْ ، فَإِذَا مَشَتْ كَانَتْ لَهَا أَرْجُلًا تَمْشِيْ بِهَا ، وَإِذَا طَارَتْ أَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَأْكُلَ كَانَتْ لَهَا أَيْدِيًا تَبْطِشُ ، وَهٰذَا النَّوْعُ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ يُمْسِكُ عُوْدًا أَوْ قِطْعَةَ لَحْمٍ ، وَّيَطِيْرُ فِي الْجَوِّ وَيَسْتَقِلُّ بِهٖ ، فَلَا يَسْقُطُ مِنْ يَّدِهٖ ، وَكَثِيْرًا مَّا رَأَيْنَا الْبَازِيَّ قَدْ قَبَضَ عَلٰى طَائِرٍ كَبِيْرٍ بِمَخَالِبِهٖ وَ طَارَبِهٖ إِلٰى عُشِّهٖ ، وَأَكَلَهُ هُنَالِكَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا .

⑷ شِيْرُشَاهُ السُّوْرِيُّ سُلْطَانُ الْهِنْدِ

(۱)

كَانَ شِيْرُ شَاهَ مِنْ خِيَارِ السَّلَاطِيْنِ ، عَادِلًا بَاذِلًا رَّحِيْمًا شُجَاعًا مِّقْدَامًا ، وَّكَانَ أَبُوْهُ مِنْ أَوْسَاطِ النَّاسِ ، وَكَانَ شِيْرُشَاهَ يَتَعَلَّمُ فِيْ جَوْنْ پُوْرَ ، وَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ الدَّرْسِيَّةَ ، وَ لَمْ يَزَلْ يَجْتَهِدُ وَ يَرْتَقِيْ حَتّٰى نَالَ الْمُلْكَ .

وَ كَانَ وَزَّعَ أَوْقَاتَهُ مِنْ يَّوْمٍ وَّ لَيْلَةٍ ، شَطْرًا مِّنْهَا لِلْعِبَادَةِ ، وَ شَطْرًا لِّلْعَدْلِ وَ الْقَضَاءِ ، وَ بَعْضَهَا لِإِصْلَاحِ الْعَسْكَرِ ، فَكَانَ يَنْتَبِهُ مِنَ النَّوْمِ فِيْ ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، وَ يَغْتَسِلُ وَ يَتَهَجَّدُ وَ يَشْتَغِلُ بِالْأَوْرَادِ إِلٰى أَرْبَعِ

سَاعَاتٍ ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي حِسَابَاتِ الْإِدَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَيُرْشِدُ الْأُمَرَاءَ فِي مَا يُهِمُّهُمْ مِنَ الْأُمُوْرِ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ ، وَ يَهْدِيْهِمْ إِلَى بَرْنَامَجِ الْعَمَلِ لِئَلَّا يُشَوِّشُوْا أَوْقَاتَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِالْأَسْئِلَةِ ، ثُمَّ يَقُوْمُ وَيَتَوَضَّأُ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ وَيُصَلِّيْهَا بِالْجَمَاعَةِ، ثُمَّ يَقْرَأُ الْمُسَبَّعَاتِ الْعَشَرَ وَ غَيْرَهَا مِنَ الْأَوْرَادِ، ثُمَّ يَحْضُرُ لَدَيْهِ الْأُمَرَاءُ فَيُسَلِّمُوْنَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَقُوْمُ وَيُصَلِّيْ صَلَاةَ الْإِشْرَاقِ ، ثُمَّ يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ حَوَائِجِهِمْ وَيُعْطِيْهِمْ مَايَحْتَاجُوْنَ إِلَيْهِ، مِنْ خَيْلٍ ، وَّأَقْطَاعٍ ،وَّأَمْوَالٍ ، وَّغَيْرِ ذٰلِكَ ،لِئَلَّا يَسْأَلُوْهُ فِيْ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْمَظْلُوْمِيْنَ وَ الْمُسْتَغِيْثِيْنَ ، و يَجْتَهِدُ فِيْ إِغَاثَتِهِمْ .

وَ مِنْ عَوَائِدِهِ بَعْدَ الْإِشْرَاقِ أَنَّهُ أَلْزَمَ نَفْسَهُ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ الْعَسَاكِرُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ ، ثُمَّ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَنْ يُرِيْدُ أَنْ يَثْبُتَ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ ، فَيَتَكَلَّمُ مَعَهُ وَ يَخْتَبِرُهُ ، ثُمَّ يَأْمُرُ أَنْ يُثْبَتَ اسْمُهُ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ، ثُمَّ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْجِبَايَاتُ الَّتِيْ تُوْرَدُ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِهِ كُلَّ يَوْمٍ ، ثُمَّ يَتَمَثَّلُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَ الْمَرَازِبَةُ ، وَ سُفَرَاءُ الدُّوَلِ وَ الْوُكَلَاءُ ، فَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ ، ثُمَّ

تُعرَضُ عليـهِ عرائضُ الْأُمَرَاءِ وَ الْعُمَّالِ ، فيسْمَعُهَا وَ يُمْلِيْ جوابَهَا ، ثُمَّ يقُوْمُ وَ يُقْبِلُ إلى الطَّعَامِ ، وَعلىٰ مَائِدَتِهِ جَمَاعَـةٌ مِّنَ العُلَمَـاءِ وَ الْمَشَايِخِ ، ثُمَّ يَشْتَغِلُ نَحْوَ سَاعَتَيْنِ بِأُمُوْرٍ خُصُوْصِيَّةٍ ، وَّيَقِيْلُ إِلَىٰ وَقْتِ الظُّهْرِ ، ثُمَّ يقُوْمُ وَ يُصَلِّيْ بِجَمَاعَةٍ ، وَ يَشْتَغِلُ بِتلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيْمِ ، ثُمَّ بِمُهِمَّاتِ الْأُمُوْرِ لِلدَّوْلَةِ ، وَ كَانَ لَايَتْرُكُ شَيْئاً مِّنْ ذٰلِكَ فِيْ ظَعْنٍ وَّلا إِقَامَـةٍ ، وَ كَانَ يَقُوْلُ : اَلرَّجُلُ الْكَبِيْرُ مَنْ يَّصْرِفُ أَوْقَاتَهُ فِي الْأُمُوْرِ الْمُهِمَّـةِ .

وَ كَانَ يَتَوَجَّـهُ إِلَى الْمُهِمَّاتِ وَ يُبَاشِرُ الْأُمُوْرَ بِنَفْسِهِ ، وَيَقُوْلُ : لَايَنْبَغِيْ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ أَنْ يَسْتَصْغِرَ مَايُهِمُّهُ مِنَ الْأُمُوْرِ نَظَرًا إِلَىٰ عُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ ، فَيُلْقِيَهَا عَلىٰ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ رِّجَالِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَايَجْتَهِـدُوْنَ فِيْهَا ، وَ رُبَّمَا يَتَغَافَلُوْنَ عَنْهَا طَمَعاً وَّ ارْتِشَاءً ۔

وَ كَانَ يُعَاقِبُ الْبُغَاةَ وَ قُطَّاعَ السُّبُلِ وَ الظَّلَمَـةَ أَشَدَّ عُقُوْبَةٍ ،وَّيُعَزِّرُهُمْ أَشَـدَّ تَعْزِيْرٍ ، وَّكَانَ لَا تَأْخُـذُهُ بِهِمْ رَأْفَـةٌ وَّ إِنْ كَانُوْا مِنْ أَصْهَارِهِ وَ أَقْرِبَائِهِ.

٤٢ شِيرْشَاه السُّورِيّ سُلْطَانُ الْهِنْدِ

(٢)

وَ مِنْ مَآثِرِهِ أَنَّهُ أَسَّسَ شَارِعًا كَبِيرًا مِّنْ سُنَارْ كَاؤُنْ أَقْصَى بِلَادِ بَنْگَالَهْ ، إِلَى مَاءِ نِيلَاب مِنْ أَرْضِ السِّنْدِ ، مَسَافَتُهَا أَلْفٌ وَّخَمْسُ مِائَةِ كُرُوْهٍ ، وَّ الْكُرُوْهُ فِي عُرْفِ أَهْلِ الْهِنْدِ مِيلَانِ ، وَ أَسَّسَ فِي كُلِّ كُرُوْهٍ رِّبَاطًا ، وَّ رَتَّبَ بِهِ طَعَامًا لِّأَهْلِ الْإِسْلَامِ خَاصَّةً وَلِلْهَنَادِكِ خَاصَّةً ، وَّ أَسَّسَ مَسْجِدًا فِي كُلِّ كُرُوْهٍ مِّنَ الْآجُرِّ وَ الْجِصِّ ، وَ وَظَّفَ الْمُؤَذِّنَ ، وَ الْمُقْرِئَ وَالْإِمَامَ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَّعَيَّنَ فِي كُلِّ رِبَاطٍ فَرَسَيْنِ لِلْبَرِيْدِ ، فَكَانَ تُرْفَعُ إِلَيْهِ أَخْبَارُ نِيلَاب إِلَى أَقْصَى بِلَادِ بَنْگَالَهْ كُلَّ يَوْمٍ ، وَّ غَرَسَ الْأَشْجَارَ الْمُثْمِرَةَ بِجَانِبَيِ الشَّارِعِ الْكَبِيرِ ، فَيَسْتَظِلُّ بِهَا الْمُسَافِرُ وَ يَأْكُلُ مِنْهَا

وَ كَذٰلِكَ غَرَسَ الْأَشْجَارَ الْمُثْمِرَةَ عَلَى الطَّرِيْقِ مِنْ آگْرَهْ إِلَى مَنْدُوْ ، وَ بَيْنَهُمَا مَسَافَةُ ثَلَاثِ مِائَةِ كُرُوْهٍ ، وَّأَسَّسَ الرِّبَاطَاتِ وَالْمَسَاجِدَ ، وَبَلَغَ الْأَمْنُ

وَ الْأَمَانُ فِيْ عَهْدِهِ مَبْلَغًا لَّا يَسْتَطِيْعُ أَحَدٌ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ فِي الصَّحْرَاءِ إِلَىٰ عَجُوْزٍ تَحْمِلُ مَتَاعَهَا ،

وَ كَانَ شِيْرُ شَاه يَتَأَسَّفُ عَلَىٰ أَنَّهُ نَالَ السُّلْطَةَ فِيْ كِبَرِ سِنِّهِ ، وَيَقُوْلُ : إِنْ سَاعَدَنِي الزَّمَانُ أَبْعَثُ رِسَالَةً إِلَىٰ عَظِيْمِ الرُّوْمِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَرْكَبَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَىٰ بِلَادِ الْفُرْسِ ، وَنَحْنُ نَرْكَبُ مِنْ هَاهُنَا إِلَىٰ تِلْكَ الْبِلَادِ ، فَنَدْفَعُ بِمُسَاعَدَةِ مَلِكِ الرُّوْمِ شَرَّ الْأَوْبَاشِ الَّذِيْنَ يَقْطَعُوْنَ طَرِيْقَ الْحُجَّاجِ ، وَنُحْدِثُ شَارِعًا آمِنًا إِلَىٰ مَكَّةَ الْمُبَارَكَةِ ، وَلٰكِنَّ الْأَجَلَ لَمْ يُمْهِلْهُ فَمَاتَ قَبْلَ بُلُوْغِهِ إِلَىٰ تِلْكَ الْأُمْنِيَّةِ ، وَ كَانَ ذٰلِكَ فِيْ ثَانِيْ عَشَرَ مِنْ رَبِيْعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ٩٥٢هـ

(نُزهة الخواطر للشيخ عبد الحيّ الحسنيّ رح)



شرح الكلمات المستحدثة

الكلمة	شرح الكلمة
المسمعة	آلة يسمع بها صوت النفس و حركة القلب
البذلة	حلة فيها قميص و سراويلات
المعرض	مكان يعرض فيه المصنوعات و الطرف و المخترعات
المتحف	دار الآثار القديمة
مليون	عشر مائة ألف
المنظرة	آلة يستعملها ضعاف النظر لمساعدة العين و تقوية النظر
الوسامة	النشان الذى يمنح الطالب السابق أو الجندى المستحق
المصلحة	إدارة من إدارات الحكومة
الرشاش	الرشاش الصغير الذى يصاد به الطيور
المدفع	آلة من حديد تدفع القنابل وتستعمل فى الحروب
الأسطول	مجموع سفن حربية
القاطرة	العربة البخارية التى تجر القطار
القطار السَّبَّاق	أسرع القُطُر الذى يسمى فى الهند قطار البريد
القطار السريع	قطار بين السَّبَّاق و الوَقَّاف
القطار الوقاف	قطار الركاب الذى يقف على كل محطة
الموقد	المكان الذى يلقى فيه الفحم و تشعل فيه النار
الوقاد	خادم القطار الذى وظيفته مراقبة النار و الماء
أمين القطار	مراقب القطار الذى يسافر فى مؤخر القطار و يهز البيرق
المصد	الآلة التى توقف بها السيارة و القطار
الباخرة	السفينة البخارية

فهرست الجزء الثاني من القراءة الراشدة

الموضوعات بحسب الاغراض